في هذا العدد

الإفتتاحيّة

١ – مقالات حول كلام الله

١) الدورُ الرئيسيّ لكلمةِ الله في حياة الكنيسة
الإحياء البيبليّ للممارسة الرعويّة ——— الكاردينال كارلو ماريّا مرتيني.. ٥

٢) الكتاب القدّس في حياة الكنيسة ——— المطران بطرس مرياتي........ ١٣

٢ – الإعداد للسينودس

١) نصّ الخطوط العريضة.. ١٩

٢) ندوة حول الخطوط العريضة

– كلمة الله عند شعب العهد القديم وفي العصر المسيحيّ الباكر —— القسّ عيسى دياب............. ٥٣

– الوحي وكلام الله والكنيسة ——— الأخت باسمة الخوري........ ٥٩

– كلام الله في حياة الكنيسة: الوجهة العقائديّة والوجهة الرعائيّة — الخوري بولس الفغالي.......... ٦١

– الكتاب المقدّس والكنيسة ——— د. نقولا أبو مراد............. ٦٧

– محوريّة كلام الله في رسالة الكنيسة. من الكرازة إلى الشراكة — الأب أيوب شهوان.......... ٧١

– خلاصة الندوة وحلقات الحوار: توصيات وآليّات عمل.................................. ٧٣

ثمن العدد

في لبنان : ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

في الخارج : ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)

في لبنان : ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

في الخارج : ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الصف الإلكتروني، الإخراج،
فرز الألوان والطباعة:
Daccache Printing House
عمشيت (لبنان)

العنوان

كلّيّة اللاهوت الحبريّة

جامعة الروح القدس – الكسليك

ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان

هاتف: ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠١٠٠

E-mail: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb

أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحوّلَت إلى **مجلة بيبليا**
سنة ١٩٩٨.

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوري بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الإرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس الخوند
القس عيسى دياب
الأخت دولّي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخايل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نقّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف : ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس : ٠٩/٦٠٠١٠٠

الافتتاحيّة

الجمعية العامة العادية الثانية عشرة ليسنودس الأساقفة
كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها

رئيس التحرير

مقدّمـــة

أسئلة كثيـرة تراودنا عندما نفكّـر بالسينودس، والدافع إلى انعقاده، وطريقة عملـه، ونتائجه النظريّة والعمليّة، كما أيضًــا بالذيــن يُدعَون إليه ويعملون فيه. ممّــا لا شكّ فيه هو أنّ كلّ سينودس تدعو إليــه الكنيسة ينطلق من حاجة كنسيّة معيّنة، فيكون بالتالي جوابًــا يقدّمه البابا بعد السينودس إلى أبناء الكنيسة والعالــم عبر "الإرشاد الرسولي" الذي يهدف إلى خير الجميع.

١ – كلام الله كلام حياة

«حيٌّ هو كلام الله وفاعل، أمضى من كلِّ سيف له حدّان، ينفــذ في الأعمــاق إلى ما بيــن النفس والــروح والمفاصل وفخاخ العظام، ويحكم على خواطر القلب وأفكاره» (عب ٤: ١٢).

إنّ مَن يتأمّل فــي تاريخ الخلاص يتبيّن أنّ كلام الله يرافق الإنســان منذ الخلق وحتّى نهاية حياتــه على الأرض؛ إنَّه في الحقيقــة **كلام الله حــيّ**، لأنّ الله ينبوع الحيــاة، يبادر ويتجلّى باستمرار لأجل الإنسان (رج لو ٢٠: ٣٨)، عملِ يديه (أي ١٠: ٣)، والذي يدخل في حوار مع خالقه. لقد تجلّى كلام الله في أشكال عديــدة، وأدرك ذروته في سرِّ التجسُّد، بفعل الروح القدس: «والكلمة صار بشرًا» (يو ١: ١٤)، فتحقّق تصميم الله بابنه الحبيب يسوع المسيح الذي مات وقام، وهو «الحيّ» (رؤ ١: ١٨)، والذي عنده كلام الحياة الأبديَّة (يو ٦: ٦٨).

يتغلغل كلام الله، بنعمة الروح القدس، في كيان المؤمن، فيلامس منــه القلب، ويقوده إلى العيشــ مع الله وفي ما هو لله، وفي أمانــة ليسوع المسيح الربّ، فيضحي بذات الفعل حاملَ بشرى الخلاص بقوَّة وصدق ومحبّة.

نحن نؤمن وبالتأكيد أنّ **كلام الله فاعل**، كما نتبيّن ذلك من حياة الآباء والأنبياء، ومن أخبار شعب الله في العهد القديم، كما في العهــد الجديد. فالمسيح يســوع، كلمة الله، الذي صار بشــرًا، «أتى وسكــن بيننا» (يــو ١: ١٤)، وهو يواصل

عمله عبر الكنيسة، التي تحقِّق عمل الخلاص بواسطة الكلمة والأسرار، ولا سيَّما سرّ الإفخارستيّا، الينبوع والذروة في حياة الكنيسة ورسالتها؛ لهذا، يشكّل كلام الله ينبوعَ المشاركة بين الإنسان والله، وبين البشر أنفسهم.

كلّنا يعلم كم أنّ الرباط وثيقٌ بين **الإفخارستيّا وكلام الله**؛ لذلك كان لا بدّ من تكريس سينودس خاصّ بـ**كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها**، بعد السينودس حول **الإفخارستيّا، الينبوع والذروة في حياة الكنيسة ورسالتها**، الذي انعقد من ٢ حتى ٢٣ تشرين الأوَّل سنة ٢٠٠٥. إنّ الكنيسة لَتفرح بأن تتأمّل بعمّق في معنى **المذبح الواحد للخبز والكلمة**.

وبحسب المنهجيّة المتَّبَعة في الدعوة إلى سينودس، وفي الإعداد له، استشارت أمانة السرّ العامَّة لسينودس الأساقفة، وبتكليف من قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر، أساقفة الكنيسة الكاثوليكيَّة، فجاءت الأجوبة مركّزة على اختيار موضوع **كلام الله**. وفي ٦ تشرين الأوّل سنة ٢٠٠٦، نشر الأب الأقدس، وهو بالطبع رئيس سينودس الأساقفة، الموضوع المختار، انكبَّ على أثره المجلس العاديّ للأمانة العامَّة على العمل من أجل تهيئة **الخطوط العريضة**، التي استلهمت مرّات عدّة الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلام الله**، داعيةً إلى إعادة قراءة كلام الله في إطار رعائيّ، مع مواكبة وسهر من قِبَل السلطة التعليميَّة في الكنيسة، التي تُعنى بتفسير وديعة الإيمان المقدَّسة تفسيرًا صحيحًا.

ومن أجل الوصول إلى تفكير مثمر في موضوع كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها، أُرفقت الخطوط العريضة بجملة **أسئلة** مرتبطة بالطروحات التي تعالجها الفصول المختلفة، على أن **تُسَلَّم الأجوبة** قبل شهر تشرين الثاني سنة ٢٠٠٧. ويلعب الخبراء الأخصّائيون دورًا هامًّا في درس هذه الأجوبة والوثائق التي تَرِدُ إلى أمانة سرّ السينودس، وفي وضع ما يُسَمَّى **ورقة عمل**، التي تُعتَبَر جدول أعمال الجمعيَّة العامَّة العاديَة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة.

لقد عاشت **الكنيسة من كلام الله**، المحرِّك الدائم لرسالة الكنيسة التي تقوم بهذه المهمّة بشكل متواصل، متّبعةً **مثال العذراء مريم**، أمة الربّ المصغية أبدًا إلى صوته العذب.

٢ – لمحة عامّة عن السينودس

تنعقد الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة المرتقبة في الفاتيكان من ٥ وحتى ٢٦ تشرين الأوّل ٢٠٠٨ حول موضوع: **كلمة الله في حياة الكنيسة ورسالتها**.

نتذكّر بدايةً أنّ **كلمات يسوع المسيح** القائل: «**طوبى لِمن يسمعُ كلمةَ الله ويحفظُها**» (لو ١١: ٢٨)، تعطي آباء السينودس توجُّهًا أساسيًّا مبنيًّا أوّلاً وآخرًا على كلمة الله، فيجتمعون حولها، ويتأمّلون فيها، ويتبيّنون مركزيّتها في حياة الكنيسة وفي حيويّتها التي تدفع المسيحيّين إلى إعلان البشرى السارّة، والقيام بهذه الرسالة السامية التي أوكلها الربّ يسوع إلى تلاميذه، ليس فقط الذين عايشوه منذ ألفَي سنة، بل أيضًا إلى كلّ مَن يتتلمذ له في كلّ زمان ومكان.

خلال انعقاد السينودس **سيترأّس الحبر الأعظم أربعة احتفالات إفخارستيّة**: الأحد ٥ تشرين الأوّل في بازيليك القدّيس بولس خارج أسوار روما القديمة، حيث يفتتح البابا سينودس الأساقفة، وهي المرّة الأولى التي لا يُفتتح فيها السينودس في بازيليك القدّيس بطرس في الفاتيكان، ذلك أنّ أعمال الجمعيّة العامّة العاديّة تجري في إطار الاحتفال بسنة القدّيس بولس التي افتتحها البابا بندكتس السادس عشر في ٢٩ حزيران ٢٠٠٨. في ٢٦ تشرين الأوّل سيترأس الأب الأقدس الذبيحة الإلهيّة في بازيليك القدّيس بطرس في الفاتيكان، مختتمًا بذلك أعمال السينودس. وفي ١٢ تشرين الأوّل سيترأّس البابا الذبيحة الإلهيّة، حيث يعلن أربعة طوباويّين قدّيسين تميّزوا بسماع كلام الله وتطبيقه في حياتهم؛ كما سيترأّس القدّاس الإلهيّ في ٩ تشرين الأوّل لمناسبة الذكرى السنويّة الخمسين لوفاة خادم الله البابا بيّوس الثاني عشر.

وسيتوجّـه **البابـا بندكتوس الســادس عشـر والبطريـرك المسكونيّ برتلماوس الأوّل** إلى آباء السينودس في ١٨ تشرين الأوّل، وستتمحــور كلمتاهمــا حــول كلام الله، مــع إشارة خاصّة إلى سنة القدّيس بولس، علمًا بأنّها المرّة الأولى التي سيتوجّه فيها البطريرك المسكونيّ إلى آباء السينودس.

عدد آباء السينودس هو ٢٥٣، بينهم ٥١ من أفريقيا، ٦٢ من أمريكا، ٤١ من آسيـا، ٩٠ من أوروبا، و٩ من أوقيانيا. وسيشـارك في السينودس ٤١ خبيرًا مـن ٢١ دولة، و٣٧ مستمعًا من ٢٦ دولة.

وسيشارك في أعمال السينودس أيضًا، وإضافة إلى البطريرك المسكونـيّ برتلماوس الأول، ممثّلون عـن بطريركيّات موسكـو، وصربيـا، ورومانيا، والكنيسـة الأرثوذكسيّة في اليونان، والكنيسة الرسوليّة الأرمنية، والاتحاد الأنغليكانيّ، والاتحـاد اللوثـريّ العالمـيّ، والمجلس المسكونـيّ للكنائسـ. وسيشارك **ثلاثة مدعوّين** من قبـل البابا بندكتوس السادس عشر فـي أعمال السينودس: حاخـام حيفا الأكبر شـأر ياتشيف كوهين، علمًا بأنّها المـرّة الأولى التي يتوجّه فيه حاخام إلى آبـاء السينودس؛ الدكتور ملِّر ميلوْي، الأمين العامّ لاتحـاد جمعيّات الكتاب المقدّسـ، والأخ ألوييس، المسؤول عن جماعة تيزي.

الأميـن العـام لسـينودس الأساقفـة، المطـران نيكـولا إيتيروفيتشـ، والكردينال مارك أويلليه، رئيس أساقفة كيبك في كندا، هو المقرّر العامّ للسينودس.

خاتمـة

مـن المفيـد أن نتَذَكّـر كلام القدّيس يوحنّـا الإنجيليّ في سفر الرؤيـا: «طوبى للذي **يقرأ**، وللذين **يسـمعون** أقوال النبـوءة، **ويحفظـون** ما ورد فيهـا، لأنّ الوقت قـد اقترب»، وتأكيدات القدّيس بطرس في رسالته الأولى: «كلام الربّ يثبت إلى الأبد. هذا هو الكلام الذي حمله الإنجيل إليكم» (١بط ١: ٢٥).

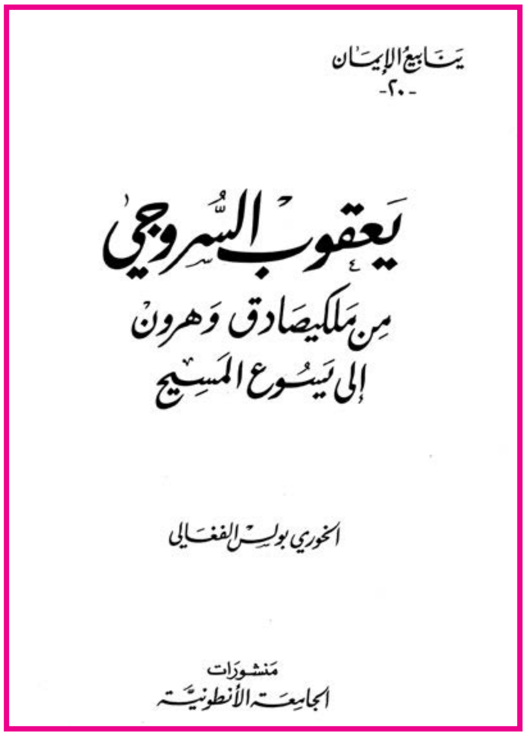

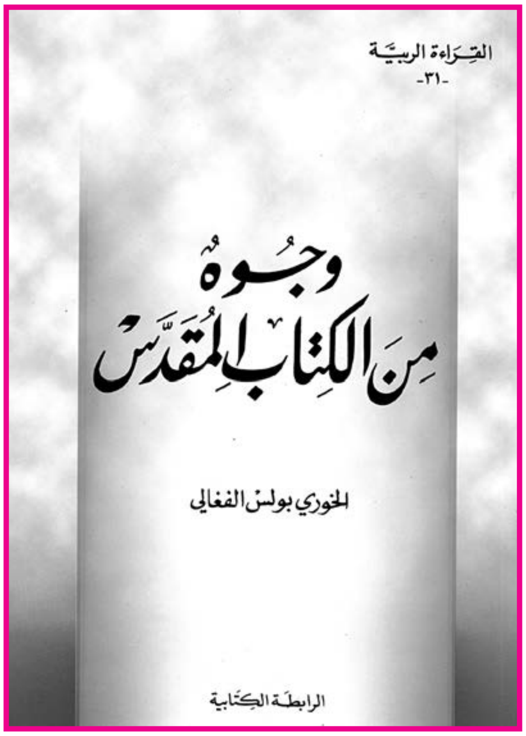

الدورُ الرئيسيّ لكلمةِ اللّه في حياةِ الكنيسة
الإحياءُ البيبليّ للممارسة الرعويّة [1]

الكاردينال كارلو ماريّا مرتيني
تعريب الأخت دولّي شعيا

مقدّمة

إنّ العنوان الذي حُدِّدَ لي لوصف موضوعي هو مُعقَّد. فهو يتألّف من قسمَين، **دورُ كلمة الله في الكنيسة، والإحياء البيبليّ للرعويّة**، ويُحَدَّدُ رباطه جليًّا، لكنّه ليسَ سهلاً للتوضيح بصرامةٍ علميّة.

يمكنُنا أن نسلّط الضوء على هذا الواقع بإعادة صياغة العنوان مع بعض الأسئلة المتتابعة، مثلاً: ما هو دورُ كلمة اللهِ في الكنيسة؟ لماذا هذا المَوضِع هو رئيسيّ (ولا يُعيق المراكز الأخرى، بالتحديد ذاك الذي هو للمسيح)؟ ما هي العلاقة بين هذه المركزيّة للكلمة، وموقع الكتاب المقدّس في الكنيسة؟ كيف يمكننا إحياء حياة المؤمنين اليوميّة بالكتاب المقدّس، في تكرّسهم لملكوت الله؟ وأيضًا: ما هي علاقة كلّ ذلك بالوحي، الذي يُعطي العنوان للدستور الذي نحتفل بذكراه الأربعينيّة؟

كما هو واضح، لا يمكنني أن أتعمّق في كلِّ سؤالٍ من هذه الأسئلة، لكنّني وضعتُها هنا في البداية لكي يظهرَ التعقيد واتّساع الموضوع. أنا سأقتصر على ترسيم بعض المظاهر العمليّة النسبيّة، خاصّةً الإحياء البيبليّ للرعويّة. بكلّ وضوح، المرجع الأساسيّ لهذا البحث هو الدستور العقائديّ، **الوحي الإلهيّ**، في المجمع الفاتيكانيّ الثاني. لقد قُدِّم هذا الدستور بنواحيه اللاهوتيّة من قبَل الكاردينال كاسبر، وفي مسيرة تسلّمه خلال هذه السنوات الأربعين من قِبَل المونسنيور أونايكان. إذًا سأقتصر على ترسيم النقاط التالية:

١- أريد أن أبدأ بذكرى شخصيّة وبشهادة للبابا العزيز الراحل يوحنّا بولس الثاني.

٢- ما هي المشاكل التي طُرِحَت في زمن **الوحي الإلهيّ**؟

٣- كيف جوبِهَت مِن قِبَل المجمع؟

٤- ما هو حضور الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة في زمن المجمع الفاتيكانيّ الثاني؟

٥- ما هي مساهمة **الوحي الإلهيّ** في حضور الكتاب المقدّس في الكنيسة؟

٦- ما هي عواقب الإحياء البيبليّ للممارسة الرعويّة، خاصّةً في ما يخصّ القراءة الربّيّة لدى المؤمنين؟

(١) أُلقيَت هذه المحاضرة القيّمة سنة ٢٠٠٥ في روما، في الذكرى الأربعين لإعلان **الدستور العقائديّ في الوحي الإلهيّ، كلام الله**، والتي نظّمتها ودعت إليها وأحيتها الرابطة الكتابيّة العالميّة. وننشرها هنا نظرًا لأهمّيّتها وارتباطها بموضوع سينودس الأساقفة حول **كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها**.

١ – ذكرى شخصيّة وشهادة للبابا يوحنّا بولس الثاني

أحبّ أن أبدأ حديثي بذكرٍ للعزيز البابا الراحل يوحنّا بولس الثاني. هو ذكرٌ يتعلّق بي شخصيًّا، بما أنّه في كتابه ما قبل الأخير، والذي عنوانه **إنهضوا، لنذهب**، يتكلّم على الأسقف كـ"زارع" و"خادم للكلمة"، ويقول (ص ٣٦):

في الواقع، "إنّ واجبَ الأسقف هو أن يجعل نفسه خادمًا للكلمة. تمامًا كما المعلّم يجلس على الكرسي، ذاك المنصب الموضوع رمزيًّا في الكنيسة التي يقال لها "كاتدرائيّة". هو يجلس هناك للتبشير، لإعلانٍ وشرحِ كلام الله". يضيف البابا أنّه من الواضح هناك معاونون متنوّعون للأسقف في إعلان الكلمة: الكهنة، الشمامسة، معلّمو التعليم المسيحيّ، المعلّمون، أساتذة اللاهوت، وعدد متزايد من العلمانيّين المثقّفين والأمينينَ للإنجيل.

لكنّه يُتابع (وهذا ما يتعلّق بي عن قُرب): «مع ذلك، لا أحد يمكنه أن يحلّ مكان حضور الأسقف الذي يجلس على الكرسيّ، أو الذي يقدّم نفسه على كرسيّ كنيسته الأسقفيّة، ويشرح شخصيًّا كلمة الله للذين جمعهم من حوله. هو أيضًا كالكاتب الذي أصبح تلميذًا لملكوت السماوات، يشبه ربّ البيت الذي يستخرج من كنزه أشياء جديدة وأشياء قديمة. أحبّ هنا أن أذكّر الكاردينال كارلو ماريّا مرتيني، أسقف ميلانو المتقاعد، والذي تعاليمه، في كاتدرائيّة مدينته، تجذب العديد من الناس، الذين يكشف لهم كنز كلمة الله. مَثَلُهُ ليس إلاّ واحدًا من العديد من الأمثلة التي تبرهن كم هو كبيرٌ الجوع لدى الناس إلى كلمة الله. كم هو مهمّ أن يصبح هذا الجوعُ مُشبَعًا! رافقتني دائمًا القناعة بأنّه إن أردتُ أن أُشبعَ في الآخرين هذا الجوع الداخليّ، فمن الضروريّ، أن أسمع أنا أولاً كلمة الله وأتأمّلها في قلبي، على مثال مريم».

لقد استشهدتُ بهذه الصفحة لأنّها تذكّرني بالأوقات الجميلة المعيوشة في كاتدرائيّة ميلانو، بالأخصّ مع آلاف وآلاف من الشباب في إصغاء صامت لكلمة الله. واستشهدتُ بها أيضًا كتكريم لذكرى يوحنّا بولس الثاني، الذي أراد بلطفه أن يذكرني في كتابه هذا ما قبل الأخير. لكن مع هذا الاستشهاد أحبّ أيضًا أن أؤكّد بأنّ الإمكانيّة التي بين أيدينا اليوم، والتي هي إشباع جوع العديد من الناس إلى كلمة الله بسخاء، هي أيضًا ثمرة دستور المجمع واستحقاقه، الذي نحتفل بذكراه الأربعينيّة، أي **الوحي الإلهيّ**.

٢ – ما هي المشاكل التي طُرحت في زمن المجمع، في ما يتعلّق بالكتاب المقدّس؟

سوف أقتصر على بعض العلامات الكافية لتسليط الضوء على الموضوع الذي يهمّنا. في الواقع، وبعد إلقاء نظرة سريعة على **تاريخ الزمن**، لهو من السهل الانتباه بأنّ المشاكل الأكثر إشاعة، في وسط الدراسات البيبليّة وحضور كلمة الله في الكنيسة، هي ثلاث على الأقلّ:

أ) العلاقة بين التقليد والكتاب المقدّس

هذا الموضوع كان فوق كلّ شيء حيًّا في عالم أوروبا الشماليّة، في إطار الحوار بين البروتستانت والكاثوليك. يتعلّق بالإجابة على السؤال إذا كانت الكنيسة تُحرز عقائدها من الكتاب المقدّس فقط أو من التقليد الشفهيّ أيضًا، الذي يحتوي على الأشياء التي لم يقلها الكتاب المقدّس.

ناقش المجمع التريدنتينيّ المشكلة قبل أربعة قرون، ولكنّه ترك الصيغة المطروحة على حدة، أيّ أنّ الحقائق الموحاة توجَد «قسم في كتبٍ مقدسّة وقسم في تقليد غير مكتوب»، لصيغة لا تحكمُ مُسبقًا على المشكلة، أيّ أنّ الحقائق الموحاة توجد «في كتبٍ مقدّسة وتقليد غير مكتوب»؛ إذًا ليس «قسمٌ–قسمٌ» إنّما «و–و».

تتمثّل المشكلة الآن بشكلها الصرف، عقب حوارات حادّة من قِبَل العلماء الحديثين، الكاثوليك والبروتستانت. عالج المجمع هذه المشكلة بإسهاب. لكن ليس من واجبي هنا إعادة بناء تاريخ مشكلة كهذه.

ب) تطبيق المنهج التاريخيّ النقديّ على الكتاب المقدّس، والمشكلة المرتبطة بعدم الانحراف في الكُتب المقدّسة.

أجل، كان هناك تقدّمٌ بالنسبةِ إلى عقيدة الماضي الصارمة جدًّا مع تمييز صحّة الأنواع الأدبيّة، وفي ذلك فضل للإرشاد الرسوليّ **ملهمين من الروح الإلهيّ**، الصادر سنة ١٩٤٣. لكنّ السؤالَ لا يزال معلّقًا، وقد نتج عن المسألة كلّها خلاف حادّ في أواخر الخمسينات. إنّ هدف هذا الخلاف كان فوق كلّ شيء تعليم المعهد البيبليّ الحبريّ، المتّهم بعدم الأخذ بعين الاعتبار الحقيقة التقليديّة لعدم انحراف الكتب المقدسّة.

المشكلة لا تتعلّق فقط بتفسير الكتاب المقدّس، بل بعلاقة المؤمنين اليوميّة بالكتاب المقدّس أيضًا. فإذا أُجبرَ المؤمنون بتفسير للكتب المقدّسة، من النوع الأساسيّ تقريبًا، فالعديد منهم، خاصّةً المتعلّمون والمهيَّئون، سيصبحون مُبعَدين.

ج) الحركة البيبليّة

موضوعٌ حيويّ، يتعلّق بنا خاصّةً في هذا التقرير، وهو موضوع «الحركة البيبليّة»، التي منذ أكثر من خمسين سنة فضّلت إلفةً جديدة مع النصوص المقدّسة ومقاربةً روحيّةً أكثر للكتاب المقدّس، تُفهَمُ كمصدر للصلاة والإلهام في الحياة. لكنّها تتعلّق بمبادرات نخبويّة بعض الشيء، والتي تخضع أيضًا للشكّ والنقد. كان من الضروريّ الإدراك، بصورةٍ رسميّة، ما هو جيّد في هذه الحركة، ضبط ازدهار المبادرات، وإعطاؤها موضعًا في الكنيسة، وتصحيحها حين تدعو الحاجة، مقدّرينَ إلى حدٍّ بعيد مخاطر الانحراف التي تعادُ اليوم أيضًا بالنسبةِ إلى قراءة العلمانيّين للكتاب المقدّس.

هذه هي إذًا الموضوعات الكبيرة التي أثارت روحَ آباءِ المجمع؛ فمفموم الوحي إذًا، الذي ظهر في الواقع حاسمًا لتشكيل الدستور بكامله، لم يكن مسألةً مطروحة.

٣ - كيف حدثت، في سياق المجمع، عمليّة التوضيح في ما يتعلّق بهذه الموضوعات، وخاصّةً في ما يتعلّق بالموضوع الثالث، أي الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة؟

إنّ التصميم التحضيريّ لهذه المناقشات، المعهود به إلى اللجنة المختصّة، اقتُرِح على آباءِ المجمع في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢، بعنوان: «دستورٌ في مصادرِ الوحي».

كانت تلكَ الجلسة الأولى عاصفة؛ فالكردينال ليينار قال ببساطة: «لا تُعجبني هذه المسودّة». وفي الاتّجاه عينه تكلّم بانتقادات قويّة الكرادلة: فرينغز، ليجيه، كونيغ، ألفرينك، ريتّر، وبيَا؛ أمّا آباءٌ آخرون فتكلّموا باتّجاه مُعاكس. هكذا، بعد تعبٍ وتوتّر، توصّل آباء المجمع إلى تصويت في ٢٠ تشرين الثاني، حيث سادَ القرار بمتابعة النقاش، بالرغم من استياء العديدين. إلاّ أنَّ البابا يوحنّا الثالث والعشرون تدخّلَ بإيمائة حكيمة مُصرًّا على سحبِ المسودّة وأن يُعهد بها إلى لجنة جديدة لإعادة صياغتها.

منذ ذلك الحين بدأ العمل الطويل الذي نتجت عنه، مع أحداث خياريّة، أشكال متعدِّدة للنصّ، آخرها قُبلَ نهائيًّا في ٢٢ أيلول ١٩٦٥. بالرغم من ذلك، بقيت «تعديلاتٌ» لا تُحصى مُقترحة. مُحِّصَت هذه التعديلات وأُدخلَت في النصّ الذي خضعَ للتصويت في ٢٠ تشرين الأوّل ١٩٦٥. هكذا وصل المجمع إلى التصويت النهائيّ في الشهر التالي، أي في تشرين الثاني، الذي سجَّلَ ٢٣٤٤ صوتًا مؤيّدًا، و٦ أصوات مُعارِضَة.

ما هي النقاط الرئيسيّة التي وُضِّحَت في المسودّة الجديدة، والتي أُعطِيت العنوان **دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ** أو **كلمةُ الله**، من الكلمات الافتتاحيّة للنصّ، التي أُدخلَت، فضلاً عن الاقتراح المعطى في المناقشة الأخيرة (أيلول ١٩٦٥)، أذكر خمسةً منها:

١) مفهوم «الوحي»

كما قُلت أعلاه، لم يكن مفهوم الوحي مسألةً مطروحة في بداية

المجمـع، لكنّه حُـدِّدَ لاحقًـا، وشيئًا فشيئًـا، خـلال المناقشـات وإعـداة صياغة النصّ، إلى أن أصبح ما هو عليه اليوم، في العدد ٢ من الدستور، والذي لم يعـد مرجعًا لحقائق، إنّمـا، قبلَ كلّ شـيء مرجعًا لحـوار الله نفسـه: «لقد حَسُنَ لدى الله، لفَرْط حكمته ومحبّته، أن يوحيَ بذاته ويُعلـنَ سرَّ مشيئَته، من أنَّ البشـر يبلغَـونَ الآب، فـي الـرَوح القدس، بالمسيـح، الكلمة المتجَسِّد، فيصبحونَ شـركاءَه في الطَبيعةِ الإلهيّة» **(الوحي الإلهي، ٢)**.

كان لهـذا التوضيح، حـول طبيعة الوحـي، التأثيـر الإيجابيّ علـى النصّ بكامله، وعرفَ قبولاً مؤيِّدًا للوثيقة.

٢) مفهوم واسع للتقليد

فـي ما يتعلّـق بما كان مـن المُعتاد القـول سابقًا، قـدَّم المجمع، في النصّ النهائـيّ للدستـور، مفهومًـا واسعًـا للتقليـد، تـمّ التعبيـر عنه علـى الشكل التالـي: «جـاءت الكنيسـة، بتعاليمها وحياتهـا وطقوسها، تُحافـظ على كُلِّ ما هـو من جوهَرها، وعلـى كُلِّ ما هو مـن إيمانها» **(الوحي الإلهيّ، ٨)**. هكذا ثُبِّتَت وحدَة التقليد والكتاب المقدَّس، ضـدَّ أيِّ محاولـة للفصل بينهمـا: «فالتقليدُ المقدّسُ والكتـابُ المقدّس مترابطـان إذًا ترابطًا وثيقًـا، بل يُفضي أحدهمـا إلى الآخر. إنّهمـا ينبثقان من الينبوع الإلهيِّ الواحـد، ويترافَدانِ في سَيرهِمَـا، ويصـلانِ إلى الغايـة عينها؛ فالكِتَـابُ المُقدَّس هـو كلامُ اللهِ مُدَوَّنًا بإلهَـام مـن الـرّوحِ الإلهـيّ» **(الوحي الإلهيّ، ٩)**.

توصَـفُ في العـدد التالـي العلاقة بين المفاهيم الثلاثـة: التقليد، الكتاب المقدَّس وكلمـة الله: «يُكـوِّنُ التقليد المقدَّس مع الكتاب المقدَّس مُستودَعًا أوحَـدَ ومقدَّسًـا لكلمـةِ الله تسلَّمَتْـهُ الكنيسة» **(الوحي الإلهيّ، ١٠)**.

٣) أمـام المناقشات حـول تفسير الكتاب المقدَّس، وبخاصَّة انعدامُ أيِّ خطأ فيها، يقتـرحُ المجمع في صياغته النهائيّـة مفهومًا واسعًا لعدم الانحراف «وراءَ كلِّ مكان دينيّ ودنيويّ». يؤكِّدُ النصُّ النهائيّ أنَّ «**أسفار الكتـاب تُقدِّمُ تعليمًا ثابتًا وأمينًا ومعصومًا عن الخطأ حول الحقيقـة التي أراد الله أن تُدَوَّنَ في الأسـفارِ المُقدَّسـة**» **(الوحي الإلهـي، ١١)**. بهذا، خمَـدَ العديدُ مـنَ مناقشـاتِ الماضي الفارغة حول المسألة.

لكن مـا يهمُّنـا بالأكثر، هـو عملُ المجمـع المُكرَّس لـ**أهمّيّـة الكتـاب المقدَّس في حيـاة الكنيسـة ومركزيّتـه**. تتبنّـى الوثيقـة، فـي نصّهـا النهائـيّ، الهموم الرئيسيَّة للحركة البيبليّة، وتُعزِّزُ لـدى جميـع المؤمنين إلفـةً مصليَّة مع الكتاب المُقدَّس. تنـاوَلَ المجمع هذا الموضـوع فـي كافَّـة جلسَاتـه، حتّى الأخيـرة منها، بصياغـة مُتتابعَة للنصّ، باقتراحـات وتعديـلاتٍ حتّـى الساعة الأخيرة، والّتي تجعلُ تاريخَ هذا الفصل معقَّـدًا جـدًّا وصعبًا للوصـف. سوف أقتصر على النقاط الأساسيّة، منطلقًا من النظـرةِ إلى واقع الكتـابِ المقدَّس في الكنيسـة الكاثوليكيّة في زمن المجمع الفاتيكانيّ الثاني.

٤- ما هو حضـور الكتاب المقدَّس في الكنيسـة في زمن المجمع الفاتيكانيّ الثاني؟

كان الوضـعُ في ذلك الوقت، نحو بداية القرن العشرين، يوصَفُ بكلمات بول كلوديل، الذي يؤكِّدُ بأنّ «احترامَ الكتـب المقدَّسـة غير محـدود؛ فهو يَظهَرُ خاصَّـةً بالطريقة التـي يبقى فيها الناس بعيديـنَ عنـه»[٢]. وإن بَـدَت تلـكَ الكلماتُ مبالغَـة، فقد كان لدى الكاثوليـك، خاصَّـةَ العلمانيّيـن، بُعد معيّن عن نصّ الكتـاب المقدَّس (حتَّى ولـو كانت كثيرةً الطُـرُقُ غير المباشرة للاحتـكاك بالمحتـوى). يُشـرَحُ هذا الوضع بعديـد من الحوافـز، منها أنّه، حتَّـى نهاية القرن الثامـن عشر، كانت الأقليّـة فقـط تجيـد القـراءة والكتابة.

---

(١) Cf. “L’Écriture Sainte”, *La Vie Intellectuelle* 16 [1948] 10.

أمّا الدافع الأساسيّ فكانَ عدم ثقة السلطات الكنسيَّة بالنفس تُجاهَ قراءة العلمانيّين للكتاب المقدّس. يأتي عدم الثقة تبعًا للإصلاح البروتستانتيّ ولحركاتٍ أخرى قويَّة منذ القرون الوسطى، عزَّزت اتّصال العلمانيّين المباشر بالكتاب المُقدَّس، ولكنّها فصلت، في الواقع، قراءته عن الإطار الكنسيّ. في الحقيقة، وحتّى نهاية القرون الوسطى، لم تُعرَف أيّ تدابير احتياطيَّة للحدّ من الدنوّ من الكتاب المُقدَّس، حتَّى ولو كان الثمن التحريميّ للمخطوطات يُصعِّبُ على المؤمنين الاستعمالَ المُباشَر. أجل، لديهم معلومات حقيقيّة وتقييدات خاصّة إنطلاقًا من بعض المجامع المحليّة، مثلاً: مجمع تولوز سنة ١٢٢٩ بمناسبة الصراع ضدّ الألبيجانيّين، ومجمع أوكسفورد سنة ١٤٠٨ تباعًا لحركة ويكلف. تتبع حرومات أخرى في إنكلترا، فرنسا وغيرها. حظَّرَ بولس السادس سنة ١٥٥٩ وبيوس الرابع سنة ١٥٦٤ العامّيَّ أيضًا من طباعة واقتناء الكتاب المُقدَّس دونَ إذنٍ خاصّ، ناشرَين فهرسًا بالكتب المُحَرَّمة. يتطابقُ هذا مع اعتراض سبيل العلمانيّين العمليّ للدنوّ من الكتاب المقدَّس بكامله في لغة شعبيّة. في الواقع، بقيت فقط طباعة الفولغاتا اللاتينيّة متواصلة. مثلاً في إيطاليا، بعد ترجمة إيطاليّة أولى سابقة للمجمع التريدنتينيّ، سنة ١٤٧١ (المعروفة بترجمة ماليرمي)، كان من الواجب الانتظار حتّى نهاية سنة ١٧٠٠، أيّ إلى ترجمة أنطونيو مارتيني، للحصول على كتابٍ مقدَّس مُترجَم باللغة الإيطاليّة للكاثوليك. في الواقع، سنة ١٧٥٧ سُمِحَ إجمالاً باستعمال الطبعات الشعبيّة المترجمة عن الفولغاتا، شرط أن تكون مُصدَّقة من قِبَل السلطات المُختصَّة ومزوَّدة بالحواشي. ترتكز طبعة مارتيني على الفولغاتا نفسها، أمّا الطبعة الكاثوليكيّة الأولى للنصوص الأصليّة، فقد ظهرت في إيطاليا في بداية النصف الأوّل من القرن العشرين فقط.

من جهة ثانية، دعمت الحركة البيبليّة، لدى جميع المؤمنين، الاتّصال المباشر والإلفة المُصلّية مع النصّ الكامل للكتاب المقدَّس في لغة الشعب، مُترجمة من النصوص الأصليّة. أرادت الحركة في تعابيرها الناضجة، أن تتمّ القراءة في إطار التقليد الكنسيّ، مُحدَّدة في الاتّجاه عينه الذي رسمه «الوحي الإلهيّ»، أيّ شموليّة ما تنقله الكنيسة في حياتها، وطقوسها، وصلاتها وتعاليمها. لم تُرِد أن تكونَ حركةً للنُخبة فقط. لذلك، كان عليها أن تواجه العديد من المعارضات وسوء الفهم، التي لم تتوارَ حتّى اليوم.

٥ – كيف ساهم المجمع في حضور الكتاب المقدّس في الكنيسة؟

يُعالج المجمع الفاتيكانيّ الثاني هذا الموضوع، خاصّةً في الفصل السادس من **الوحي الإلهيّ**، والذي عنوانه «الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة». يُعلن هذا الفصل، منذ البداية عن مبدأ أساسيّ: «فمن الواجبِ إذًا أن تأتيَ الكرازةُ الكنسيَّة، على غرارِ الديانة المسيحيّة نفسها مُشبَعَةً بالنصوص الكتابيّة، مُلتزمَةً بهَدْيها» (**الوحي الإلهيّ**، ٢١). بعد هذا التأكيد، يُطبّقُ الفصل ذاك المبدأ على التقاليد في اللغات الحديثة، على ضرورة درس المُفَسِّرين للنصوص بعمق، ويُسَطِّرُ أهمّيّة الكتاب المقدّس في اللاهوت، ويوصي جميع المؤمنين بقراءة الكتاب المُقدَّس. في الواقع، وبعد توصية الإكليروس بقراءة الكتاب المُقدَّس، بدرجة أولى الكهنة، والشمامسة، ومعلّميّ التعليم المسيحيّ، يتابع: «كذلك يُحرِّضُ المجمعُ المقدَّس تحريضًا ملحًّا جميعَ المسيحيّين، لا سيَّما من كان منهم عضوًا في الجمعيّات الرهبانيّة، أن يُدركوا «معرفة المسيح السامية»، بالمواظبة على قراءة الكُتُب الإلهيّة. هذا الإرشادُ التحريضيّ لجميع المؤمنين، والأساسيّ للحركة البيبليّة، يتطابق مع طلب العديد من آباء المجمع. أُضيفَت أيضًا جملة قاطعة للقدّيس إيرونيموس: «من جهلَ الكتب المقدَّسة، جهلَ في الواقع المسيح»]. لذلك، يوصي المجمع كلّ المؤمنين «أن يرتاحوا إلى **مباشرة** النصوص المقدّسة ذاتها... **وإمّا في القراءة الخاشعة** [التي تُدعى اليوم بـ"القراءة الربّيّة"، وسوف نعود إلى هذا الموضوع]. يُضافُ أيضًا: "وليفطنوا أن يَقرنوا الصلاةَ بقراءة

الكتبِ المقدَّسة، لأنّ بها ينشأ الحوارُ بينَ اللهِ والإنسان"، (**وهنا يُستَشهد بالقدّيس أمبروسيوس**) "نتحدّثُ إلى الله عندما نُصلّي، ولكنّنا نستَمعُ إليه عندما نقرأ آياتِ الوحي الإلهيّ" (القدّيس أمبروسيوس، **في خدمة الفرض**، ١، ٢٠، ٨٨).

إذاً، إنّها مسألة قراءة يمكننا أن نسمّيها «روحيّة»، أُنجِزَت بدافع الروحِ القدس، وشكرًا له؛ «فالكتابُ كلّه مِن وحي الله، يُفيدُ في التعليم والإقناع والتقويم والتأديبِ في البرّ» (٢ تم ٣: ١٦). إنّها لقراءةٌ تتركُ ذاتها مقادةً بذلك الروح، روحِ الحقّ الذي يقودُ «إلى الحقيقةِ الكاملة» (يو ١٦: ١٣)، و»الذي يفحصُ كلَّ شيءٍ حتّى أعماق الله» (١ كو ٢: ١٠). يجب أن تكونَ إذًا قراءةً في الكنيسة، في خضمّ التقليدِ الكنسيّ الكبير، في إطارِ كلِّ حقائقِ الإيمان وفي شركةٍ مع رعاةِ الكنيسة.

٦ – ما هي نتائج الإحياء البيبليّ للممارسة الرعويّة، خاصّةً في ما يتعلّق بالقراءةِ الإلهيّة لدى المؤمنين؟

إنطلاقًا من خبرتي كأسقف لميلانو لأكثر من اثنين وعشرين سنة، كانت ليَ الفرصة أن ألمُسَ ثمارَ تلكَ الصلاة التي تنطلقُ من الكتاب المقدَّس، خاصّةً في العديد من الشباب وكثيرين من البالغين الذين وَجَدوا، في هذه الإلفة مع الكتاب المقدَّس، المقدرة على توجيه حياتهم حسب مشيئة الله، في المدن الكبيرة والحديثةِ أيضًا، وفي جوٍّ غير دينيّ.

وجد العديدُ من المؤمنينَ الملتزمين، والعديد من الكهنة في القراءة المصلّية للكتاب المقدَّس الطريقة لتأمين وحدة الحياة في وجودٍ هو في الغالب متقطّع وممزّق بسبب الآلاف من الاحتياجات، التي، في وسطها، كان من الضروريّ إيجاد **نطقةَ مرجع** ثابتة. في الواقع، إنّ تصميم الله المقدّمَ إلينا في الكتاب المقدَّس، والذي يجد ذروته في يسوع المسيح، يسمح لنا أن نوحِّدَ حياتنا في إطارِ تصميم الخلاص.

أكثر من ذلك، إنّ الإلفة المصلِّية مع الكتاب المقدَّس، تُساعدنا على مواجهة إحدى التحدّيات الكبرى في عصرنا، والتي هي أن نعيشَ معًا كمُختلفين، ليس فقط في الإثنيَّة، بل أيضًا في الحضارة، دون أن يحطِّم الواحد الآخر، وأيضًا دون أن يتجاهل الواحد الآخر، باحترام وحثٍّ متبادل وباتّجاهِ أصالةٍ أكبر للحياة.

هذا يصلح أيضًا لكلِّ مسيرة مسكونيّة ولكلِّ لقاء بين الأديانَ الكبرى، التي يجب عليها ألاّ تؤدّيَ لا إلى النزاعات ولا إلى المبارزات، بل بالحريّ إلى دَفْع الرجال والنساء الملتزمين جديًّا إلى تفهُّم كنوز الآخرين ومساعدتهم على تفهُّمَ ما يخصُّهم، وذلك لدعوة كلِّ واحد للوصول إلى **حقيقة أكبر وشفافيّة** أمام الله، ولتلبية دعواته.

إذا كنتُ أتساءَل حول جذورِ هذا الاختبار، فأجدها مبدئيًّا أمام كلمة الله التي من خلالها "كلّ شيءٍ كان" وبدونها "ما كان شيءٌ ممّا كانَ" (يو ١: ٣)، والتي فيها نحن "وُلدنا ولادةً ثانية، لا من زَرعٍ يفنى، بل من زَرْعٍ لا يفنى، وهو كلمةُ الله الحيَّة الباقية" (١ بط ١: ٢٣). نحن ندركُ بعضنا البعض في مصدرنا المشترك، في كرامتنا، في أخوّتنا الأساسيّة، التي هي أبعد بكثير من الانقسامات القصوى.

من الواضح أنّ الطرق الملموسة للإحياء البيبليّ للرعويّة عديدة. إنّها تتعلّق بترك المجال لقوّة الرعاة والمؤمنين الخلاّقة. يمكنني أن أذكر الكثير من هذه الاختبارات، مثلاً: أسابيع التأمّل المسائيّ في الكاتدرائيّة أو في الرعايا حول شخصيّة أو كتاب بيبليّ؛ التعليم المسيحيّ عبر الراديو أو التلفزيون حيث كنتُ أخاطبُ في الأبرشيّة جمهورًا من مئات الآلاف من الناس. حتّى ما يُسمَّى بـ»كرسي غير المؤمنين»، التي أتاحت الفرصة للقاء الناس الذينَ يبحثونَ عن الإيمان، وكان **لديهم مرجعهم** الخاصّ لنصّ الكتاب المقدَّس.

هنا أحبّ قبل كلّ شيء أن أذكر بالتحديد اختبار «القراءة المقدَّسة»،

التـي هـي أساسُ كلّ شـيء، وتعطـي الخلفيّة لكلّ الإحياء البيبليّ المتواصِل. يوصي المجمع جميـع المؤمنين بتلك «القراءة المقدَّسة». إنّها تتعلّقُ، بشكلٍ واضح، باختبارٍ روحيٍّ وتأمُّليّ، وليسَ بالتحديد تفسيريّ. تتعلّـقُ إذًا بالمثولِ أمام النصّ مع شرح بسيط يستولي على كلّ المعانيّ الأساسيّة والرسالة الدائمة، والتي تتحـدّى مَن يقرأ ويتأمّل، وتدفعه إلى الصـلاة ابتداءً من النصّ الموجود أمامـه. في الواقـع، يُنظَرُ إلـى الكتاب المقدَّس ليس فـي محتـواه وتأييداته فقط، كالنصّ الذي يقـول شيئًا لأحد ما، بـل أيضًا كمن يتكلّمُ مـع من يقرأ، ويثير فيه حوارَ إيمـان، ورجاء، وتوبة، وتشفُّـع، وتقدمة للـذّات... تلكَ هي «القراءة المقدَّسـة» التقليديّة في الألف الأوّل للعصر المسيحيّ، التي سيطرت على عظات آبـاء الكنيسة البيبليّة (أفكرُ بشروحات القدّيس أمبروسيوس البيبليّة فـي ميلانـو، أو بشروحـات القدّيس أغوسطينوس فـي هيبُّونا): قراءةٌ هدفها اللقـاء مع كاتبِ الكلمة، قـراءةٌ قادرة على صوغِ وتَوجيه الوجود.

شخصيًّـا، حاولـتُ أن أجعل دائمًا حتّـى الأكثر بساطـةً بيـن المؤمنين أن يمارسـوا هذا النوع من القراءة للكتاب المقدَّس، متجنّبًـا العديد مـن الطرق المعقَّـدة. لم يكـن صدفةً أنّـي عزَّزتُ مدارس الكلمة فـي كاتدرائيّة ميلانو، التي علّمـت الآلاف من الشباب للدنوّ مـن النصّ المقدَّس ببساطـة وصلاة. فـي الواقـع، هنـاك العديد مـن الطرق لممارسـة «القـراءة»، لكنّـي شخصيًّا مُقتنعٌ أنّ الناس بحاجـة إلى أن يتعلّموا الطريقـة الأبسـط التـي يمكنهـم أن يتذكّروهـا بسهولـة، والتـي أعبِّر عنها بالثلاثي: القراءة، التفكّر والتأمُّل.

أعنـي بكلمـة «**قـراءة**» القـراءة، وإعادة قراءة النصّ أمامي (من المفَضَّل أن يكـون النصّ مـن ليتورجيّـا اليوم) بحثًا عـن اكتشاف التصميـم (البنية)، والكلمـات المفتـاح، والأشخاص، والأعمـال وأهليّتهـا، وترتيـب النصّ فـي إطار الكتـاب البيبليّ الـذي ينتمي إليـه النصّ، إن كان الكتـاب المقدّس بكاملـه أو الزمـن المحـدَّد (نحن نقرأ هذا النصّ «اليوم»!). يُهمَلُ هذا الوقت غالبًا لأنّ الناس يعتقدون بأنّهم يعرفون النصّ مُسبقًا، وأنّهـم لربّما قـرأوه أو سمعـوه يُقرأ عـدّةَ مـرّات سابقًا. لكنّ النصّ يجـب أن يُقرأ كلّ مرّة كما وأنّها المرّةُ الأولـى، وإن حُلِّل بطريقة سهلة، سـوف يُظهِـرُ مظاهرَ تبقى إلـى الآن مخفيّـة أو ضمنيّة. الموضوع إذًا يتعلّقُ في الجوهر بالإجابة على السؤال: ماذا يقول هذا النصّ؟

أعني بكلمة «**تفكُّر**» التفكير حول رسائل النصّ، حـول القيم الدائمة التي ينقلها النصّ إلينا، حول تساوي الفعاليّة الإلهيّـة التي يعرّفنا عليها النصّ. يتعلّق بالإجابـة علـى السؤال: مـاذا يقول لنا هـذا النصّ؟ ما هـي الرسائـل وما هي القيم التي يحاول إيصالها إلينا؟

أعنـي بكلمـة «**تأمّـل**» أو «**صـلاة**» الوقت الشخصـيّ «للقراءة المقدَّسة»، ذلـك الذي من خلالـه أدخلُ في حوارٍ مع الـذي يكلّمني من خلال هذا النصّ ومن خلال الكتاب المقدَّس بكامله.

إنطلاقًا من هـذا الوصف، يبدو لي جليًّا أنّ هذه الممارسة للقـراءة البيبليّة تعيدُ الجميعَ إلى تلكَ الكلمة التي نجدُ من خلالها وحدتِن، وفـي الوقت عينه تُضرِمُ قلوبنـا بطريقة تُشبه ما حصل مع التلميذين لـدى سماعهما أقوال يسوع فـي الطريق باتّجاه عمّاوس: "أما كان قلبُنا يضطرم في صدرِنا، حينَ حدَّثنا في الطريـق وشرحَ لنا الكُتُبَ المُقدَّسة؟" (لو ٢٤: ٣٢).

إنّـه في هـذا الخـطّ مـن اضطرام القلـب، المُرَكَّز على الكلمـة، يمكننا أن نرجـو تجديـدًا كنسيًّـا لا تقـوى المناقشات والمشاورات على تحقيقه. نرجـو إذًا أن يتحقّـق بالفعـل، كطريقة رعويّة، في كلّ الجماعـات المسيحيّةً ولدى كلّ المؤمنين، ما اقترحه المجمع الفاتيكانيّ الثاني في **الوحي الإلهيّ**: أن تُصبحَ تلك الطريقة، في التأمّل والصلاة انطلاقًا من الكتـاب المقدَّس، ممارسةً عامّـة لجميع المسيحيّيـن، وذلك لأنّ هذه الطريقة تشكّلُ ترياقًا فعّالاً للإلحاد العملـيّ فـي مجتمعنـا، خاصَّـةً فـي الغرب، وخميرةَ شركة أيضًا في العلاقة مع ديانـات الشرق الكبيرة في كوكبنا. إنّ تشديـد الكنيسـة علـى «القـراءة المقدّسة» لمُتتابـع حتّى بعد المجمع. فـي الواقـع، تَبِع **الوحـي الإلهـيّ** دساتيرَ

أخرى رسميَّة مهمّة، سطَّرت وعمَّقت بعض مفاهيم **الدستور العقائديّ في الوحي الإلهيّ**. أذكـرُ منها: في ما يتعلّق بتفسير الكتـاب المقدَّس (رج الفصل الثالث من الدستـور) يُستَشهَـد بوثيقة اللجنة البيبليّـة الحبريّة والتي عنوانها **التفسير البيبليّ في الكنيسة**، ١٩٩٣. في ما يتعلّق بالعلاقة بين العهدين (رج الفصل الثالـث والرابع)، وثيقة اللجنـة البيبليّة نفسها **الشعب العبريّ وكُتُبه المقدَّسة في الكتاب المقدَّس المسيحيّ**، ٢٠٠١.

عديـدةٌ هـي التشديـدات لجعـل الكتـاب المقدَّس ذاتَ مركـز أساسيّ، وهـذا هـو واجبه فـي حيـاة الكنيسة. فـي هـذا الإطـار، تتعـدّد الإرشادات لممارسة «القراءة المقدَّسة». إنّ توجيه اللجنة البيبليّـة الحبريّة سنة ١٩٩٣ دارَ حولَ «القراءة» كصـلاة تولدُ من قراءة الكتاب المقدَّس وبِعَمَلِ الروح القدس. فـي الوثيقـة المنهجيّة للألـف الثالث، **على مشـارف الألف الثالـث**، يُسطِّر البابا الضـرورة «كـي يُصبح سمـاعُ الكلمة لقـاءً حيًّـا، فـي التقليد القديـم والحيّ أبدًا، للقـراءة المقدَّسة، التي تحوي في النصّ البيبليّ على كلمة الحياة المدوّية، المُوَجِّهـة والصائغة للوجـود». إضافةً إلـى وثيقـة مجمـع الحيـاة المكرَّسة (الانطلاق من المسيح) ووثائق أخرى مشابهة للعديد من المجامع الرومانيّة، ووثائـق المحاضـرات الأسقفيّـة فـي مختلـف البلـدان (اللجنـة الأسقفيّـة الإيطاليّـة مثـلاً). إذًا، علـى المستوى الرسميّ، إنّه لجليّ بأنّ آثار **الوحي الإلهيّ** التي أُطلقت في حقـل الكنيسة لا تزال تعطي ثمارًا.

تُذكَـرُ أيضًا المفاهيـم التي عرفت تعمُّقًا من قِبَـل اللاهوتيّين والمفسِّرين. أذكر بشَـكلٍ خاصّ موضـوع العلاقة بيـن الوحـيّ، كوسيلـة اتّصـال إلهيّة، والكتـاب المقدَّس. في هـذا المجال، يعبّر أحد اللاهوتيّين فـي كتابة حديثة: «إنّ الانطبـاع التجريـديّ الذي يمكنه أن ينتج اليوم عن قراءة متكاملة «للوحي الإلهيّ»... تنحدرُ منَ الواقع أنّ الفصل الخامـس حول «الكتـاب المقدَّس في حيـاة الكنيسـة» لا يشكّل فـي العمق معيّة الدستور ولا حتّـى مفهوم الوحي حقيقـةً. بالرغم من ذلـك، وبالتحديد في هـذا الفصـل، تُوصـل إلـى المبدأ الرعويّ، المعلـن من قِبَـلِ البابا يوحنّا الثالـث والعشرين كبرنامـج للمجمع. هنـا نلتقي وإحدى المشـاكل الرئيسيّة للموافقة المجمعيّة التي عليها أن تأخذ بعين الاعتبار الواقع بـأنَّ هذا المبدأ لم يُحافَظ عليه بعمق في كلّ الوثائق، وأنّه بسبب نشرها المتأخّر، لم تتمكن بعض النصوص مـن أن تؤثّـر بشـكل واف على صياغـة الوثائق الكنسيّـة المُتَبَنّاة سابقًـا» (كريستوف ثيوبَلد، **الملكوت**، ٢٠٠٤، ص. ٧٩٠).

لـذا، وبعـد مـرور أربعيـن سنـة علـى **الوحـي الإلهـيّ**، تُفَتـحُ مجـالات عديدة من البحث لتعمُّـقٍ أكثر عضويَّة للمواضيـع المُستحضـرة مـن هـذا الدستـور المجمعـيّ، خاصَّـةً لعمـلٍ رعـويّ يُبـرزُ أولويّة الكتـاب المقدّس فـي حياة المؤمنينَ اليوميّـة، في الرعايا والجماعـات. مستقبـل الدستـور إذًا بين أيدينا، لا بـل في أيدي ذلك الروح الـذي قادَ آباء المجمـع إلى حقلٍ شهيٍّ وصعـب، والـذي سيقودنا كلّنـا اليوم أيضًا وغدًا لنتغـذّى من الكلمة ونجعل حياتنا مطابقةً لها.

الكتاب المقدَّس في حياة الكنيسة

المطران بطرس مراياتي
رئيس أساقفة أبرشية حلب للأرمن الكاثوليك

مقدّمـــة

لمناسبة مرور ٤٠ سنة على صدور الدستور العقائديّ، **في الوحي الإلهيّ**، **كلام الله** (*Dei Verbum*) في ١٩٦٥/١١/١٨، وهو من أهمّ وثائق المجمع الفاتيكانيّ الثاني، عُقد مؤتمر عالَميّ حول موضوع "الكتاب المقدَّس في حياة الكنيسة"، وذلك في مدينة روما في الفترة ١٤–١٨ أيلول ٢٠٠٥، بحضور أكثر من ٢٠٠ مشارِك من مختلف بلدان العالَم.

كان وراء تنظيم هذا المؤتمر "الرابطة البيبليَّة الكاثوليكيَّة العالَميَّة" بمؤازرة "المجلس البابويّ لتعزيز وحدة المسيحيّين". وقد شارَك فيه ممثّلو الكنائس الكاثوليكيَّة ومندوبون عن سائر الكنائس الأرثوذكسيَّة والإنجيليَّة ومسؤولون عن مختلف الجمعيّات الكتابيَّة في العالَم، ما أعطى اللقاء بُعدًا مسكونيًّا مميّزًا. فالكتاب المقدَّس يشكّل أرضيَّة مشترَكة للحوار بين المسيحيّين مهما تنوّعت انتماءاتهم.

أعرض لكم في هذا الحديث المحاور الرئيسة التي جاءت في **الفصل السادس من الوثيقة المجمعيَّة**، وما أكّدته أعمال المؤتمر بما يخصّ **كلمة الله في حياة الكنيسة**، وقد وضعتُها في خمسة أقسام.

١ – قدسيَّة كلمة الله في الكنيسة

"إنّ الكنيسة قد أحاطت دومًا الكُتُب الإلهيَّة بالإجلال" **(في الوحي الإلهيّ**، ٢١). هذا ما يؤكّده المجمع الفاتيكانيّ الثاني، وهذا هو الواقع في كنائسنا الشرقيَّة. فالكتاب المقدَّس يوضع على المذبح الرئيسيّ في غلاف أنيق من الفضّة، ويُحمَل في تَطواف داخل الكنيسة، ويُكرَّم بالبخور والتراتيل...

وتضيف الوثيقة المجمعيَّة أنّ الكنيسة تحيط الكُتُب المقدَّسة بالإجلال الذي تحيط به جسد المسيح، "وهي تتناول دومًا خبز الحياة على المائدة نَفسها التي حملتْ، معًا، جسد الربّ وكلمة الله. إنّها تتناوله وتوزّعه على المؤمنين، لا سيّما عندما تقوم بخدمة الليتورجيّا الإلهيَّة" (الرقم ٢١).

فإذا ما تأمّلنا في تكوين القدّاس نجد فيه قسمين: ليتورجيّا الكلمة، وليتورجيّا الإفخارستيّا، وكلاهما مترابطان متكاملان؛ فالمسيح حاضر بكلامه وبجسده كما كان حاضرًا بين تلميذَي عمّاوس اللذين عرفاه عند كسر الخبز بعد أن رافقهما في الطريق وشرح لهما الكُتُب (رج لو ٢٤: ١٣–٣٥).

ولم تكتفِ الكنيسة بتكريم الكُتُب المقدَّسة وإدراجها في صلواتها وطقوسها الليتورجيَّة، بل جعلتها موضوع كرازتها. "وما فتئت يومًا تعتبر الأسفار المقدَّسة، ومعها التقليد المقدَّس، دستورًا أساسيًّا لإيمانها، لأنّ الكُتُب المقدَّسة هي من وحي الله، وهي مثبّتة تثبيتًا نهائيًّا. ولذلك، فهي توصل كلمة الله كما هي، من غير تحريف، وتُمكّن الأنبياء والرُسُل أن يُسمعوا صوت الروح القُدُس بأقوالهم" (الرقم ٢١).

ومنذ القرون الأُولى للمسيحيَّة جاءت عظات آباء الكنيسة وكتاباتهم مشبَعةً بالنصوص الكتابيَّة، ملتزمةً

بهديها، حتّى قيل: "لو فُقدت الأناجيل لوجدنا نصوصها في كتابات آباء الكنيسة".

ويشتمل الأدب الآبائيّ على شروح وتفسيرات، جزئيّة أو كاملة، للأسفار المقدّسة. فقد كانوا يحفظون عن ظهر قلب الآيات الكتابيّة ويستشهدون بها في زمن لم تكن وسائل الطباعة والنشر معروفة.

وأذكر على سبيل المثال أنّ القدّيس كريكور ناريكاتسي (غريغوريوس الناريكيّ، † ١٠٠٣) استشهَد في كتاب صلواته **المراثي** بألفين ومائة وتسعين آية كتابيّة. وكان أوّل مؤلّفاته **شرح نشيد الأناشيد**.

فأين نحن من إجلالنا للكتاب المقدّس بعد أن أصبح في متناول الجميع؟ لقد فقدنا قدسيّة الكتاب الملهَم، وتلاشى الاحترام تجاه الكلمة الموحى بها المدوّنة في كتاب قدسيّ، وأصبح شأنه شأن سائر الكُتُب العاديّة.

أسوأ ما رأيت لمّا كنت أعلّم في المدرسة، أنّ أحد الطُلاّب جاء بكتاب مقدّس لم يجد كتابًا أضخم منه ليجعله مسندًا يرفع عليه آلة عرض الشرائح الضوئيّة.

وماذا لو حدّثتكم عن مصير الإنجيل في المخيّمات. فهذا يضعه تحت رأسه ليجعل منه وسادة، وذاك يلقيه بين ثيابه القذرة، وآخَر يأخذه إلى المطبخ حيث السمن والزيوت... وأشنع من ذلك كلّه أنّ أحدهم جاء بنسخة من الإنجيل ليؤجّج بها النار!

أمّا عن كيفيّة قراءة الرسائل وتشكيل الحركات النحويّة فحدّث ولا حرج...

كيف نطلب من الآخَرين أن يحترموا كتابنا إذا كنّا نحن لا نعطيه حقّه من الاحترام والإكرام (رج كتاب: **هل أنت معي؟**، ص ٩–١٤).

ومن جهة أُخرى، أين نحن من العظات المشبَعة بالنصوص الكتابيّة؟

حدّثنا رئيس المؤتمر المذكور عن أسقف جمع عظاته في كتاب، وقبل أن يرسله إلى الطبع نادى أمين سرّه وقال له: "خُذْ هذا النصّ وضعْ في كلّ صفحة آية مناسبة من الكتاب المقدّس"! وكأنّ كلمة الله جُعلت للترصيع والتزيين وحسب.

على العظة، أيًّا كان نوعها، أن تكون نابعة من التأمّل في النصّ الكتابيّ لا أن تأتي الآية لتُقحَم في ما نريد أن نقوله نحن.

في مكتبتي مجلّدان فيهما مجموعة عظات وخطابات لأحد الكهنة طوال سنوات رعايته. وعبثًا حاولت أن أجد فيهما آية واحدة من الكتاب المقدّس، فلم أُفلح!

جميل أن نتكلّم ونكتب بمنطق وعلم وبلاغة، ولكنّ الأجمل أن نتكلّم بفم الله، وأن نغرف في كتاباتنا من مَعين كتاب الله.

٢– أهمّيّة مطالعة الكتاب المقدّس

"يحرّض المجمع المقدّس تحريضًا ملحاحًا جميع المسيحيّين، ولا سيّما مَن كان منهم عضوًا في الجمعيّات الرهبانيّة، أن يدركوا "معرفة المسيح السامية" (فل ٣: ٨)، بالمواظبة على قراءة الكُتُب الإلهيّة، "لأنّ مَن جهل الكُتُب المقدّسة، جهل المسيح" (الرقم ٢٥)، كما يقول القدّيس إيرونيموس.

بالرغم من انتشار ملايين النسخ المطبوعة من الكتاب المقدّس بمختلف اللغات والأحجام، فإنّ عدد الذين يقرأونه قليل جدًّا. بحسب إحصاء أجرته الرابطة البيبليّة في ثلاثة بلدان أورُبّيّة تُعتبر كاثوليكيّة، وهي إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، تبيّن أنّ ٣٪ من المؤمنين الملتزمين الكاثوليك يقرأون الإنجيل يوميًّا، والباقي يكتفي بالاستماع إلى مقاطع منه في الكنيسة. و٤٠٪ منهم يعتقد أنّ بولس هو من بين كتبة الأناجيل، و٢٦٪ يعتقد أنّ بطرس هو أيضًا من بين كتبة الأناجيل! سُئل أحدهم: "عدّدْ أسماء الإنجيليّين الأربعة"، فكان الجواب: "هم اثنان: بطرس وبولس".

والغريب في الأمر أنّ الكنيسة التي تطالب اليوم مؤمنيها بقراءة الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد كانت، في ما مضى، تمنعهم من ذلك!

كان العهد القديم ممنوعًا لعامّة الشعب. وحتّى العهد الجديد لم يكن

في متناول الجميع. كان يكفيهم ما يُتلى عليهم في الكنيسة.

وكذلك كانت حال الأديار؛ فلم يكن الكتاب المقدّس في متناول أيدي الرهبان والراهبات. كانت ثمّة عمليّة انتقاء لبعض النصوص تساعدهم على التأمّل والصلاة.

والحقّ يُقال إنّ أحد أسباب نشوء الحركة الإصلاحيّة والتيّار البروتستانتيّ هو تأكيد أهمّيّة الكتاب المقدّس ومرجعيّته المطلَقة (*Sola Scriptura*)، وضرورة مطالعته المتواترة.

وهكذا كانت بداية الكنيسة البروتستانتيّة الإنجيليّة بين الأرمن العامَ ١٨٥٠ في إسطنبول. والسبب يعود إلى ممانعة السُلطة الكنسيّة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة آنذاك بعض شبّانها المثقّفين من مطالعة الكتاب المقدّس وطبعه ونشره بلغة الشعب وتوزيعه على البيوت والأفراد. حينئذٍ قرّروا ترك حضن الكنيسة الأرثوذكسيّة وإنشاء جماعة كنسيّة بروتستانتيّة أرمنيّة مستقلّة.

في القرن الماضي، وحتّى اليوم، عُرف البروتستانت في بلادنا بتعلّقهم بالكتاب المقدّس وحفظه والتبشير به. ويُعرف المؤمن البروتستانتيّ ممّا يحمل معه: الكتاب المقدّس وكتاب التراتيل.

أمّا بالنسبة إلينا، نحن الكاثوليك، فقد أهملنا الكتاب المقدّس ولجأنا إلى الرتب التقويّة كدرب الصليب، وتلاوة السُبحة، وإكرام القدّيسين، والزيّاحات، وساعات السجود، والأخويّات التعبّديّة...

وكذلك شأن الأرثوذكس في إكرام الإيقونات وإقامة القداديس الاحتفاليّة وصلوات الفرض مع استعمال البخور والشموع والحفاظ على الصوم...

كان علينا أن ننتظر منتصف القرن العشرين وقرارات المجمع الفاتيكانيّ الثاني لتبدأ نهضة جديدة بين الكاثوليك، وبين الأرثوذكس أيضًا، للعودة إلى الجذور الإيمانيّة البيبليّة ونشر الكتاب المقدّس والانكباب على دراسته.

لا يزال الكتاب المقدّس حتّى يومنا هذا أكثر الكُتُب الموزّعة في العالَم. وقد أخبرني أحد المسؤولين في "جمعيّة الكتاب المقدّس" أنّ الكتاب المقدّس هو أكثر الكُتُب المرغوبة في معارض الكُتُب العامّة. كما أنّه دخل عالَم الاتّصالات الحديثة، فنجده في أقراص ليزريّة وفي مواقع إلكترونيّة وفي مختلف برامج الاتّصال الدوليّة.

ولكن هل يكفي أن يكون في بيتنا كتاب مقدّس؟ علينا أن نقرأه كلّ يوم، في الصباح أو قبل النوم، ونجعل منه كتاب الكُتُب. وإنّه لَمِن التحدّي أن يلتزم كلّ مسيحيّ بأن يقرأ الكتاب المقدّس من أوّله إلى آخره ولو مرّة في العمر. فهل في إمكاننا التغلّب على هذا التحدّي؟

٣- اللاهوت الكتابيّ في حياة الكنيسة

إليكم ما يقوله المجمع الفاتيكانيّ الثاني في هذا الموضوع:

"يرتكز عِلم اللاهوت على كلام الله المدوّن، ومعه على التقليد المقدَّس، كأنّما على أساس ثابت. بكلام الله يتعزّز علم اللاهوت تعزيزًا متينًا، وبه يتجدّد تجدّدًا دائمًا، إذ إنّه لا يفتأ يستقصي، في ضوء الإيمان، الحقائق الكاملة المخفيّة في سرّ المسيح. إنّ الأسفار المقدّسة تحتوي على كلام الله. ولكونها ملهمةً، تُصبح هي كلام الله في الحقيقة. فمن المفروض إذن أن تصبح دراسة الكُتُب المقدّسة بمثابة روح علم اللاهوت. ومن المفروض أيضًا أن تعتمد رسالة الكرازة على كلام الأسفار، لتغذيتها السليمة، وإنعاشها الروحيّ المقدّس، في كلّ مظاهرها: أكانت موعظةً رعويّة، أم تعليمًا دينيًّا منتظمًا، أم وجهًا من أوجه التثقيف المسيحيّ" (**في الوحي الإلهيّ**، ٢٤).

كان علم اللاهوت في ما مضى يرتكز على علم الفلسفة والمنطق، وأسلوب المجادلة والمرافعة والدفاع. وما كان على الكنيسة بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني إلاّ أن تعود إلى سابق عهدها في أيّام الآباء القدّيسين، فتبني لاهوتها على المعطيات الكتابيّة مع ما

يرافقها من تقليد كنسيّ.

وهكذا فتحت الأبواب لدراسة الكُتُب المقدَّسة دراسةً نقديَّةً من جميع جوانبها: الأدبيَّة والتاريخيَّة والاجتماعيَّة والنفسانيَّة والعلميَّة...

وليس هناك كتاب وُضع على مشرحة النقد العلميّ مثل الكتاب المقدَّس! فالكنيسة لا تخشى الحقيقة لأنّ الله هو الحق.

ومن خلال هذه القراءة العلميَّة النقديَّة، وما رافقها من تفاسير وشروح، ظهرت تيّارات عديدة تراوح بين التيّار المتحرّر الذي ينفي القدسيَّة والبُعد الإلهيّ عن أقسام عديدة من الكتاب المقدَّس ويردّها إلى عالَم الميتولوجيا والأساطير، والتيّار المتشدّد الذي يقول بحرفيَّة الكلمة (كما أُنزلت)، ما أدّى إلى نشوء بدع وشيع، اليوم كما في الماضي (رج ما قيل عن "النيقولاويّين" في رؤ ٢: ٦ و١٥)، وإلى ظهور حركات متطرّفة منحرفة.

ومن هنا المسؤوليَّة الكُبرى المُلقاة على عاتق مَن يفسّر الكتاب المقدَّس ويشرحه. وإذا كان "الروح يهبّ حيث يشاء" (يو ٣: ٨)، فلا يعني ذلك أنّ كلّ مؤمن يستطيع أن يفسّر كلام الله على هواه. إنّ تفسير كلمة الله له مرجعيَّة: الكتاب نَفْسه، والتقليد، والسُلطة الكنسيَّة، وكلّها تتمّ بإرشاد الروح القُدُس الذي هو ضمان الحقيقة إلى منتهى الدهر (يو ١٤: ٢٦).

وإذا كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة انفتحت أكثر ممّا مضى على اللاهوت البيبليّ، فإنّ بعض الكنائس البروتستانتيَّة المُصلحة راحت، بدَورها، تقبل بمرجعيَّة السُلطة الكنسيَّة في شرح الكتاب المقدَّس وتفسيره بحسب تقاليد آباء الكنيسة الأوّلين الذين كانوا الأقرب إلى عصر المسيح وبدايات البشارة الإنجيليَّة.

وبناءً على ذلك كان سعي الكنائس الإنجيليَّة المستمرّ في تمييز ذاتها عن سائر البدع والشيع التي نشأت منها بسبب عدم وجود مرجعيَّة ضابطة.

٤- الكتاب المقدَّس محور الحركة المسكونيَّة

بعد أن كان الكتاب المقدَّس نقطة خلاف بين الكاثوليك وسائر المسيحيّين، وخاصّة الإنجيليّين، من حيث عدد الأسفار والترجمات والتفاسير والشروح، أصبحت البيبليا بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني محطّة لقاء بين جميع الكنائس.

ومن ثمار المجمع أيضًا أنّ المجلس البابويّ لتعزيز وحدة المسيحيّين أنشأ العامَ ١٩٦٩ "الرابطة البيبليَّة الكاثوليكيَّة العالَميَّة" لتطبيق قرارات المجمع المتعلّقة بالتعاون مع سائر الكنائس والجماعات الكنسيَّة لوضع ترجمة موحّدة ودراسة الأسفار الكتابيَّة معًا.

وهذا ما تحقّق في السنوات الأربعين الأخيرة. فكانت الترجمات المشترَكة في مختلف اللغات وكانت الدراسات والمنشورات والأبحاث التي اكتشفت الكنائس من خلالها أنّ كلمة الله جُعلت لتوحّدنا لا لتفرّقنا.

إليكم ما جاء في وثيقة "دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيَّة وقواعدها" الصادرة العامَ ١٩٩٣ عن حاضرة الفاتيكان:

"كلام الله المدوَّن في الكُتُب المقدَّسة يغذّي حياة الكنيسة بطرق مختلفة، وهو أداة ممتازة بيد الله القدير للحصول على هذه الوحدة التي يدعو المخلّص جميع الناس إليها. إجلال الكُتُب المقدَّسة هو رباط أساسيّ للوحدة بين المسيحيّين، وهذا الرباط يظلّ قائمًا حتّى وإن لم تكن الكنائس والجماعات الكنسيَّة التي ينتمون إليها على ملء الوحدة بعضها مع بعض. كلّ ما من شأنه أن يشجّع أعضاء الكنائس والجماعات الكنسيَّة على أن يقرأوا كلام الله، ويقرأوه معًا، إذا أمكن، كلّ هذا يقوّي رباط الوحدة التي تجمعهم ويفتح قلبهم لنعمة الله الموحّدة، ويعزّز ما يؤدّونه للعالَم من شهادة مشترَكة لكلمة الله المخلّصة. إنّ ما يقوم به المسيحيّون من نشر الكتاب المقدَّس وتعميمه في طبعات ملائمة، هو شرط لا بدّ منه لسماع كلام الله. إنّ الكنيسة الكاثوليكيَّة، مع استمرارها في نشر الكتاب المقدَّس في طبعات تراعي قوانينها ومقتضياتها، تساهم أيضًا،

وبطية خاطر، مع كنائس وجماعات كنسيَّة أُخرى، في وضع ترجمات ونشر طبعات مشتركة، وفقًا لما لحظه المجمع الفاتيكانيّ الثاني وما ورد في الشرع الكنسيّ، وتعتبر التعاون المسكونيّ، في هذا المضمار، شكلاً هامًا من أشكال الخدمة والشهادة المشترَكتَين في الكنيسة ولأجل العالَم" (الرقم ١٨٣).

"هذه العلاقات وهذا التعاون مع مؤسَّسات متفرّغة لنشر الكتاب وتعميم استعماله، تلقى تشجيعًا على كلّ مستويات حياة الكنيسة، وبإمكانها أن تسهّل التعاون بين الكنائس والجماعات الكنسيَّة، للعمل الرساليّ والتعليم المسيحيّ والتفقيه الدينيّ والصلاة والبحث المشترَك. وقد تُفضي غالبًا إلى المشارَكة في إصدار طبعة من الكتاب المقدَّس يمكن الاستعانة بها في كثير من الكنائس والجماعات الكنسيَّة، القائمة في منطقة ثقافيَّة ما، أو استعمالها في أغراض محدّدة كالدراسة والحياة الليتورجيَّة. مثل هذا التعاون يمكن أن يكون ترياقًا يتصدّى لاستعمال الكتاب المقدَّس في اتّجاه أصوليّ أو لأهداف منحازة" (الرقم ١٨٥).

إذا كان هذا التعاون المسكونيّ فتح آفاقًا جديدة لإبراز دَور الكتاب المقدَّس وأهمّيّته في حياة المؤمنين فإنّه طرح، في المقابل، مشكلةً أُخرى ألا وهي مشكلة تعدّد الترجمات باللغة العربيَّة والتنوّع في الطبعات ودُور النشر. فثمّة ترجمات مسكونيَّة وكاثوليكيَّة وبروتستانتيَّة ورعويَّة ويسوعيَّة وبولسيَّة ومارونيَّة ولاتينيَّة وغيرها كثير...، حتّى ليحار المؤمن قارئ العربيَّة أيّ ترجمة يعتمد!

أضف إلى ذلك الارتباك الذي يحصل عندما نطلب من المؤمنين أن يجلبوا معهم كتابهم المقدَّس أو إنجيلهم للتأمّل والدراسة، فإذا بنصوص متباينة من حيث الترجمة لا تساعد على التركيز ووضوح الرؤية وفهم كلمة الله كما يجب.

فلا عجبَ إذا عمدت بعض الأخويّات إلى تبنّي طبعة معيّنة وتوزيعها على أعضائها لتوحيد النصوص في ما بينهم.

وفي هذا الصدد أيضًا يأخذ علينا بعضهم أنّ ثمّة اختلافًا بين ترجمة عربيَّة وأُخرى وبين تعبير وتعبير في كتابنا المقدَّس.

نقول: إنّ المسيحيَّة قبل أن تكون دين كتاب هي دين شخص هو يسوع المسيح ابن الله. وما الكتاب الذي بين أيدينا سوى شهادة لهذا الشخص. هو الكلمة الحيَّة التي نزلت من السماء. وهذه الكلمة لا تقيّدها لغات البَشَر مهما تنوّعت، بل تزيدها ألقًا وانتشارًا ليتغذّى بها جميع الناس.

٥- الكتاب المقدَّس: كلمة وصلاة وحياة

كلّ ما تحدّثنا عنه مهمّ: قدسيَّة كلمة الله، وضرورة مطالعة الكتاب المقدَّس، وأوّلويَّة اللاهوت الكتابيّ والبُعد المسكونيّ، ولكنّ الأهمّ أن تتحوّل هذه الكلمة إلى "روح وحياة" (يو ٦: ٦٣)، وأن يصبح الكتاب المقدَّس، وعلى الأخصّ الإنجيل، مناجاةً روحيَّة وهديًا لدرب كلّ مؤمن في واقعه اليوميّ.

يقول القدِّيس أمبروسيوس: "إنّنا نتحدّث إلى الله عندما نصلّي، ولكنّنا نستمع إليه عندما نقرأ آيات الوحي الإلهيّ". ويقول يسوع: "ليس مَن يقول لي يا ربّ، يا ربّ يدخل ملكوت السموات، بل مَن يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات... فمَثَل مَن يسمع كلامي هذا ويعمل به كمَثَل رجل عاقل بنى بيته على الصخر..." (مت ٧: ٢١-٢٧).

فالكنيسة التي اؤتمنت على كلام الربّ لم تضعه في متحف ولم تودعه الخزائن، بل جعلته على منارة، كما يقول صاحب المزامير: "كلمتك مصباح لخطاي ونُور لسبيلي" (١١٩: ١٠٥). وجاء يسوع ليؤكّد: "أنا نُور العالَم، مَن يتبعني لا يمشِ في الظلام، بل يكون له نُور الحياة" (يو ٨: ١٢).

وهذا ما دعا إليه المجمع الفاتيكانيّ الثاني لكي لا يكتفي المسيحيّ بالقراءة،

بـل يعيش بحسب المبادئ الإنجيليَّة ويطبّق عمليًّا ما يقول له الروح.

"فبواسطة الكُتُب المقدَّسة يبادر الآب الذي في السموات، بحنوّ عظيم، إلى لقاء أبنائه والتحادث معهم. إنّ كلام الله هذا يحمل قوّة وعزمًا عظيمَين حتّى إنّه يصبح ركنًا للكنيسة وعزّة، ولأبناء الكنيسة منعة إيمان، ولنفوس المؤمنين غذاء، ولحياتهم الروحيَّة مَعينًا دائم الجريان. وهكذا صحّ ما قيل في الكُتُب المقدَّسة من "أنّ كلمة الله حيَّة فعّالة" (عب ٤: ١٢)، "لأنّها قادرة أن تبني وتُؤتي الميراث مع جميع المقدَّسين" (أع ٢٠: ٣٢؛ ١ تس ٢: ١٣). (**في الوحي الإلهيّ**، ٢١).

"للكتاب المقدَّس علاقة عميقة مع العناصر الثلاثة الأساسيَّة في حياة الإنسان: الكلمة والصلاة والحياة. وهي عناصر متشابكة؛ فالصلاة ليست عملاً خارجيًّا عند الإنسان، لأنّها تنبع من داخله، تحييه وتجعله واعيًا لعلاقته الجوهريَّة بالله. الصلاة لقاء واتّصال وحوار يأخذ فيه لقاء الله شكل كلمة تنير الحياة. لهذا يجب أن تتغذّى الصلاة بكلمة الإيمان، كما يجب أن تنطلق من قراءة نصّ من الكتاب المقدَّس الذي يحتاج دومًا إلى أن يتجسّد في الحياة. يجب أن تدخل كلمة الله إلى عمق حياة الإنسان وتتفاعل معه بحيث تكوّن حركة مستمرّة بين كلمة الله وحياة الإنسان. وهذا يفترض بالضرورة استعدادًا داخليًّا عند الشخص الذي يتعامل مع كلمة الله حتّى يدع الكلمة تعمل فيه وتكشف له معناها الحقيقيّ"[١].

إنّ هذا النوع من الصلاة الكتابيَّة الروحيَّة يُسمّى، بحسب التقليد الرهبانيّ، "الصلاة الربّيَّة" (*Lectio Divina*) وتعود الكنيسة إلى اكتشافها مجدَّدًا وحثّ الرهبان والمؤمنين الملتزمين، أفرادًا وجماعات، على المواظبة عليها.

يختصر الكَردينال مارتيني (Martini) هذا النوع من الصلاة الكتابيَّة في ثلاث مراحل تقابلها ثلاث كلمات باللاتينيَّة:

١- القراءة (*Lectio*): ماذا يقول النصّ أو ماذا تقول كلمة الله في حدّ ذاتها؟

٢- التأمّل، التفكير (*Meditatio*): ماذا يقول لي النصّ أو ماذا تقول لي كلمة الله؟

٣- الصلاة (*Oratio*): ماذا أقول أنا للربّ بواسطة كلمته؟

ويكون ثمر هذه الصلاة توجيه الحياة بحسب مشيئة الله، فنميّز الأمور بإرشاد الروح، ونتّخذ القرار، ونعمل بحسب الكلمة متشبّهين بالمسيح في المحبّة لتصبح حياتنا كلّها شهادة وبشرى.

الخاتمة

نختم حديثنا من حيث بدأتْ الوثيقة المجمعيَّة **كلمة الله**، (*Dei Verbum*) بالقول إنّ الكنيسة "تُصغي إلى كلمة الله بورع وتعلنها إعلانًا ثابتًا" (**كلمة الله**، ١).

وهذا شأن كلّ مسيحيّ ملتزم: أن يُصغي إلى كلمة الله بالقراءة والصلاة، وأن يكون بشيرًا لها بشهادة الحياة قولاً وفعلاً.

يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم في عظته في الكتاب المقدَّس:

"فَلْنطالع الكتاب المقدَّس جيّدًا في أثناء الصلاة. ليس عند وجودنا في الكنيسة وحسب، بل عند الرجوع إلى البيت... فإنّ الشجرة المغروسة على مجاري المياه لا تتّصل بالماء ساعتين أو ثلاثًا في النهار، بل اتّصالها دائم ليلاً ونهارًا، ولذلك تزدان بالأوراق وتعطي الثمار الجيّدة في حينها...

الكُتُب المقدَّسة تعطينا المنفعة العظيمة، لا بكثرة كلامها، بل بالقوّة الكائنة فيها. إنّ الطيب فوّاح ذكيّ بطبيعته، لكن وبطرحه في النار تزداد رائحته ذكاء. هكذا الكتابة الإلهيَّة، فإنّها جميلة جدًّا بنَفْسها، ولكنّها إذا دخلت أعماق النَفْس، تصبح كالبخور المطروح في المبخرة، يملأ البيت شذاه الذكيّ"[٢].

(١) رج **الصلاة الربّانيّة**، المكتبة البولسيَّة، جونية – لبنان ٢٠٠٥.

(٢) رج **خطيب الكنيسة الأعظم**، في سلسلة "الفكر المسيحيّ في الأمس واليوم"، الرقم ١١، المكتبة البولسيَّة، جونية – لبنان ١٩٨٨.

سينودس الأساقفة الجمعيَّة العامَّة الثانية عشرة العاديَّة

الخطوط العريضة

كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها

التوطئة

"حيٌّ هو كلام الله وفاعل، أمضى من كلِّ سيف له حدّان، ينفذ في الأعماق إلى ما بين النفس والروح والمفاصل وفخاخ العظام، ويحكم على خواطر القلب وأفكاره" (عب ٤: ١٢).

إنَّ تاريخ الخلاص كلَّه يبيِّن أنَّ **كلام الله حيّ**. فالذي يبادر ويتجلّى هو الله، ينبوع الحياة (لو ٢٠: ٣٨). وهذا الكلام يتوجَّه إلى الإنسان الذي هو عمل يديه (أي ١٠: ٣)، والذي خُلق حقًّا لكي يقدر أن يتجاوب معه، فيدخل في حوار مع خالقه. لهذا، فكلام الله يرافق الإنسان منذ الخلق حتّى نهاية حجّه على الأرض. وقد تجلّى في أشكال عديدة، فأدرك ذروته في سرِّ التجسُّد، بفعل الروح القدس، حين "الكلمة صار بشرًا" (يو ١: ١٤)، إلهًا لدى الله، يسوع المسيح الذي مات وقام، وهو "الحيّ" (رؤ ١: ١٨)، ذاك الذي عنده كلام الحياة الأبديَّة (يو ٦: ٦٨).

كلام الله أمضى (من كلِّ سيف)، ينير حياة الإنسان، ويدلُّه على الطريق الواجب اتّباعه، ولا سيَّما عبر الوصايا العشر (خر ٢٠: ١-٢٦) التي أجملها يسوع في وصيَّة المحبَّة تجاه الله وتجاه القريب (مت ٢٢: ٣٧-٤٠). والتطويبات (لو ٦: ٢٠-٢٦) هي مثال الحياة المسيحيَّة المعاشة في الإصغاء إلى كلام الله الذي يتحرّى عواطف القلوب، ويوجِّهها نحو الخير، وينقّيها من كلِّ ما هو شرّ. وإذ يهب الله ذاته للإنسان الخاطئ، مع أنَّه مدعو إلى القداسة، فهو يحثُّه على تبديل سلوكه السيّئ. قال: "توبوا عن سوء سلوككم، واحفظوا وصاياي وشرائعي، بحسب كلِّ الشريعة التي فرضتُ على آبائكم، والتي وهبتُها لهم بواسطة خدمة عبيدي الأنبياء" (٢ مل ١٧: ١٣). وفي الإنجيل، أطلق الربُّ يسوع أيضًا النداء: "توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات" (مت ٣: ٢). فكلام الله، بنعمة الروح القدس، يلامس قلب الخاطئ التائب، ويقوده من جديد إلى المشاركة مع الله في كنيسته. واهتداء الخاطئ هو علَّة فرح كبير في السماوات (لو ١٥: ٧). فباسم الربِّ القائم من الموت، تواصل الكنيسة رسالتها في الكرازة بـ"غفران الخطايا... لجميع الأمم" (لو ٢٤: ٤٧). وإذ تكون خاضعة لكلام الله، تنطلق هي أيضًا في طريق التواضع والتوبة، لكي تكون دومًا أكثر أمانة ليسوع المسيح، عريسها وربِّها، وتعلن البشرى بمزيد من القوَّة والصدق.

كلام الله فاعل. هذا ما تبرهن عنه الأخبار الشخصيَّة، في حياة الآباء والأنبياء، كما في أخبار الشعب المختار في العهد القديم وفي العهد الجديد. وبطريقة فريدة، يشهد على ذلك يسوع المسيح، كلمة الله، الذي

صار بشرًا، "فأتى وسكن بيننا" (يو ١: ١٤). وهو يواصل عمله، فيعلن ملكوت الله ويشفي المرضى (لو ٩: ٢) عبر كنيسته، وهي تحقِّق عمل الخلاص بواسطة الكلمة والأسرار، ولا سيّما سرّ الإفخارستيّا، الينبوع والذورة في حياة الكنيسة ورسالتها، إذ في الكنيسة تصبح كلمات التقديس بنعمة الروح القدس فاعلة، فتحوِّل الخبز إلى الجسد والخمر إلى دم ربِّنا يسوع (مت ٢٦: ٢٦–٢٨؛ مر ١٤: ٢٢–٢٣؛ لو ٢٢: ١٩–٢٠). لهذا، فكلام الله هو ينبوع المشاركة بين الإنسان والله، وبين البشر الذين يحبُّهم الربّ.

والرباط الوثيق بين **الإفخارستيّا وكلام الله**، قد وجّه أيضًا اختيار موضوع الجمعيَّة العامَّة العاديَّة لسينودس الأساقفة، القريبة، فثُبِّتَت الرغبة التي كانت حاضرة منذ زمن بعيد، بتكريس التفكير في كلام الله في إطار السينودس. وهكذا، بعد سينودس الأساقفة حول **الإفخارستيّا، الينبوع والذروة في حياة الكنيسة ورسالتها**، الذي انعقد من ٢ حتّى ٢٣ تشرين الأوَّل سنة ٢٠٠٥، بدا منطقيًّا أن نركِّز الانتباه على **كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها**، فنعمِّق في ما بعد معنى المذبح الواحد للخبز والكلمة. وهذا الموضوع يعكس الرغبة الأولى لدى الكنائس الخاصَّة، كما عبَّر عنها رعاتُها الأساقفة. فاختيار موضوع اللقاء السينودسيّ القريب قد حُدِّد جماعيًّا. فبحسب الممارسة المختبَرة، كلَّف قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر أمانة السرّ العامَّة لسينودس الأساقفة بأن تستشير في هذا المجال جميع الأساقفة في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وصلت الأجوبة من الكنائس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة ذات الحقّ الخاصّ، ومن المجالس الأسقفيَّة، ومن مؤسَّسات الكوريا الرومانيَّة، واتِّحاد الرؤساء العامّين، فاتَّضح أنَّ الموضوع المفضَّل هو كلام الله، مع تنويهات مختلفة، وتنوُّع كبير من الوجهات. وقد حُلِّلت الموادّ الوفيرة خلال الجلسة الحادية عشره العاديَّة للأمانة العامَّة لسينودس الأساقفة، الذي يمثِّل الجماعة كلَّها في شكل من الأشكال. فقد اختير اثنا عشر عضوًا بواسطة زملائهم خلال الجلسة الحادية عشره العامَّة العاديَّة لسينودس الأساقفة. وبحسب ما يلحظ ترتيب سينودس الأساقفة، سمّى قداسة البابا بنديكتس السادس عشر ثلاثة أعضاء من المجلس. جُمعت نتائج المناقشة الخصبة في المجلس العاديّ في ثلاثة موضوعات أخضعتها الأمانة العامَّة في ما بعد لقرار الحبر الأعظم.

والموضوع الذي اختاره الأب الأقدس، رئيس سينودس الأساقفة، نُشر في ٦ تشرين الأوَّل سنة ٢٠٠٦. بعد ذلك، انكبَّ المجلس العاديّ للأمانة العامَّة على العمل من أجل تهيئة **الخطوط العريضة**، وهي وثيقة تتوخّى أن تقدِّم بإيجاز "وَضْعَ المسألة" (*Status quaestionis*) حول الطرح الهامّ لكلام الله، وأن تبيِّن الوجهات الإيجابيَّة في حياة الكنيسة ورسالتها دون إخفاء بعض الوجهات التي تكوِّن مشكلة، أو أقلَّه تحتاج أن تعمَّق من أجل خير الكنيسة وحياتها في العالم. من أجل هذا تعود **الخطوط العريضة** مرارًا إلى الدستور العقائديّ حول **الوحي الإلهيّ، "كلام الله"**، وتتبع بشكل خاصّ المقاربة التي اختارها آباء المجمع، والتي تقوم في موقف الإصغاء الدينيّ لكلام الله، لكي تستطيع، في ما بعد، أن تعلنه بجرأة (**كلام الله**، ١)، وإعادة قراءة كلام الله في إطار رعائيّ، ترافقه إعلانات متتالية من قبل السلطة التعليميَّة في الكنيسة، التي تهتمّ بتفسير وديعة الإيمان المقدَّسة، التي يتضمَّنها

التقليد والكتاب المقدّس، تفسيرًا صحيحًا.

وإذ أرادت الوثيقة أن تسهِّل التفكير في الموضوع ومناقشته على مستوى الكنيسة، أرفقته بجملة **أسئلة** مفصَّلة وعائدة إلى الطروحات التي تعالجها الفصولُ المختلفة. فجميع المؤسَّسات المجمعيَّة التي سُمِّيت سابقًا، قد طُلب منها أن **تودع أجوبتها على هذه الأسئلة قبل شهر تشرين الثاني سنة ٢٠٠٧**. ويستعين المجلس العاديّ بخبراء أخصّائيّين عديدين، فيدرس الوثائق، ويرتِّب المواضيع في وثيقة ثانية تدعى **ورقة عمل**، تُتَّخذ كجدول لأعمال الجمعيَّة العامَّة العاديَة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، التي تنعقد، إن شاء الله، من ٥ إلى ٢٦ تشرين الأوَّل ٢٠٠٨.

منذ البدايات، عاشت الكنيسة من كلام الله؛ ففي المسيح، الكلمة المتجسِّد بفعل الروح القدس، الكنيسة هي "مثل سرّ أو، إذا شئنا، علامة ووسيلة لتحقيق الاتِّحاد الحميم مع الله، ووحدة الجنس البشريّ كلّه" (**نور الأمم**، ١). وكلام الله هو أيضًا المحرِّك الذي لا ينفد لرسالة الكنيسة لدى القريبين كما لدى البعيدين. وإذ تخضع الكنيسة لتفويض الربِّ يسوع، وتجعل ثقتها في قوَّة الروح القدس، تكون في وضع من الرسالة متواصل (مت ٢٨: ١٩).

وإذ يتبع السينودس **مثال الطوباويَّة مريم العذراء**، خادمة الربّ الوضيعة، يسعى لمساعدتنا على اكتشاف إعجابيّ لكلام الله، الذي هو حيّ وأمضى من السيف وفاعل، في قلب الكنيسة، وفي ليتورجيَّتها والصلاة، في الأنجلة والفقاهة، في التأويل واللاهوت، في الحياة الفرديَّة والجماعيَّة، كما في ثقافات البشر التي ينقّيها الإنجيل ويغنيها. وحين يتيح المسيحيّون لكلام الله بأن يوقظهم، يستطيعون أن يجيبوا كلّ من يسألهم حجَّة عن رجائهم (١ بط ٣: ١٥)، فيحبّون القريب، "لا بالكلام واللسان، بل بالعمل والحقّ" (١ يو ٣: ١٨). وإذ يتمّ البشرُ الأعمال الصالحة يضيء نورهم أمام الناس، نورٌ هو انعكاس مجد الله، وجميعهم يسبّحون أبانا الذي في السماوات (مت ٥: ١٦). وهكذا تشعُّ كلمة الله على كلِّ حياة الكنيسة، فيبدو حضورها في المجتمع خميرة عالم أكثر عدالة وأمانًا، حيث لا يسود أيُّ نوع من العنف، عالم منفتح على بناء حضارة المحبَّة.

"كلام الربّ يثبت إلى الأبد. هذا هو الكلام الذي حمله الإنجيل إليكم" (١ بط ١: ٢٥). وهكذا صار التفكير في السينودس صلاة متواضعة لكي ينير الاكتشاف الجديد لكلام الله إنارةً أفضل طريقَ الإنسان في الكنيسة وفي المجتمع، على مدِّ مسيرة التاريخ بما فيها من التواء وهو ينتظر، واثقًا "سماوات جديدة وأرضًا جديدة [...] يسكن فيها البرّ" (٢ بط ٣: ١٣).

نيكولا إتيرُوفيتْش

رئيس أساقفة سِيساك

الأمين العام

حاضرة الفاتيكان

٢٥ آذار ٢٠٠٧

المقدِّمة

لماذا سينودس حول كلام الله

"الذي كان من البدء، الذي سمعناه ورأيناه بعيوننا، الذي تأمَّلناه ولمسته أيدينا من كلمة الحياة، والحياة تجلَّت فرأيناها، والآن نشهد لها ونبشِّر بالحياة الأبديَّة التي كانت عند الآب وتجلَّت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نبشِّركم به لتكونوا أنتم أيضًا شركاءنا، كما نحن شركاء الآب وابنه يسوع المسيح. نكتب إليكم بهذا ليكون فرحنا كاملاً" (١ يو ١: ١-٤).

١- في البدء كان الكلمة (يو ١: ١). "كلمة الله تثبت إلى الأبد" (أش ٤٠: ٨). فكلام الله يفتتح التاريخ مع خلق الكون والإنسان: "قال الله" (تك ١: ٣، ٦ي)، ويُعلن جوهره مع تجسُّد الابن يسوع المسيح. "والكلمة صار بشرًا" (يو ١: ١٤)، ويكمِّله مع وعد أكيد باللقاء معه في حياة لا نهاية لها. "أجل، أنا أعود قريبًا" (رؤ ٢٢: ٢٠).

ذاك هو اليقين السامي الذي يريد الله ذاته، في حبِّه اللامحدود، أن يعطيه للإنسان في كلِّ الأزمنة، فيجعل من شعبه شاهدًا له. ذاك هو السرّ العظيم للكلمة على أنَّها موهبة الله السامية التي يريد السينودس أن يعبدها ويشكرها ويتأمَّلها ويعلنها للكنيسة وللبشر جميعًا.

٢- دلَّ الإنسان المعاصر، وبطُرُق متعدِّدة، أنَّه يحتاج احتياجًا كبيرًا إلى الإصغاء إلى الله وإلى التكلُّم معه. ويحسُّ المسيحيّون اليوم توقًا حارًّا للمضي إلى "**كلام الله على أنَّه ينبوع حياة**"، ونعمة لقاء الإنسان بالربّ.

لهذا لا ندهش حين يجيب الله على مثل هذا الانفتاح لدى الإنسان. فالله اللامنظور، والذي "يتوجَّه إلى البشر كما إلى أحبّاء، ويتحدَّث معهم ليدعوهم إلى الدخول في شركة معه، ويتقبَّلهم في هذه الشركة"[١]. هذا الوحي السخيّ من لدن الله هو حدث مستمرّ للنعمة.

ونحن نرى في كلِّ هذا **عمل الروح القدس**، الذي بالكلمة، يسعى إلى أن يجدِّد حياة الكنيسة ورسالتها، فيدعوها إلى اهتداء متواصل، ويرسلها تعلن الإنجيل لجميع البشر "لتكون لهم الحياة وتكون وافرة" (يو ١٠: ١٠).

٣- يتركَّز كلامُ الله في شخص المسيح الربّ، وقد جعلت الكنيسة من سرِّ الكلمة **خبرة وتفكيرًا ثابتَين** على مدِّ الأجيال. "ماذا تظنُّون أن يكون الكتاب إلاّ كلام الله؟ لا شكَّ في أنَّها عديدة الأقوال التي كتبتها يدُ الأنبياء، أمّا كلمة الله فهو فريد، هو الذي يُجمل الكتاب المقدَّس كلَّه. فهذا الكلِمة (يسوع) الفريد قد تصوّره المؤمنون زرعَ الله وعريسهم الشرعيّ، بفم خصب حين ولدوه وسلَّموه إلى إشارات، هي حروف الكتابة، لكي يوصلوه إلينا"[٢].

مع الدستور العقائديّ **في حول الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، أوجز المجمع الفاتيكانيّ الثاني التعليم الرسميّ للكنيسة حول كلام الله، فعرض العقيدة وبيَّن ممارستها. فالكلمة تدفعنا لنحقِّق **طريقًا طويلاً من النضوج والتعمُّق** على إيقاع ثلاث رسائل رعائيَّة: **عناية الله** للاوون الثالث عشر، **الروح البارقليط** لبنديكتوس الخامس عشر، **وبفيض من الروح القدس** لبيّوس الثاني عشر[٣]، طريقًا اغتنى بتأويل ولاهوت متجدِّدَين، بخبرة المؤمنين الروحيَّة، وقد ذكّر به بشكل مناسب **سينودسُ الأساقفة** سنة ١٩٨٥[٤] **وتعليمُ الكنيسة**

(١) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في **الوحي الإلهيّ**، كلمة الله، ٢.

(٢) Rupertus Abbas Tuitiensis, *De operibus Spiritus Sancti*, I,6: *SC* 131,72-74.

(٣) لاوون الثالث عشر، **عناية الله** (١٨/١١/١٨٩٣): *DS* 1952 (3293)؛ بنديكتوس الخامس عشر، **الروح البارقليط** (١٥/٩/١٩٢٠): *AAS* 12 *(1920)* ٣٨٥-٤٢٢؛ بيّوس الثاني عشر، **بفيض من الروح القدس** (٣٠/٩/١٩٤٣): *AAS 35(1943)* ٢٩٧-٣٢٥.

(٤) Cf. Synodus Episcoporum, Relatio finalis Synodi Episcoporum *Exeunte cœtu secundo*: Ecclesia sub Verbo Dei mysteria Christi celebrans pro salute mundi (07.12.1985): *Enchiridion del Sinodo dei Vescovi*, 1, EDB, Bologna 2005, 2733-2736.

الكاثوليكيَّة. بعد المجمع، شجَّعت السلطة التعليميَّة العامَّة والخاصَّة في الكنيسة بإلحاح، اللقاء مع الكلمة، وهي مقتنعة بأنَّ هذه الكلمة "تحمل للكنيسة [...] ربيعًا روحيًّا جديدًا"[٥].

إذًا، تحدَّد موقع **الجمعيَّة السينودسيَّة** في النفحة الكبيرة للكلمة التي يوجِّهها الله إلى شعبه، في رباط وثيق مع سينودوسات الأساقفة (١٩٦٥–٢٠٠٦)، إذ تذكِّر بأساس الإيمان عينه، وتتوخّى في زماننا أن تجعل ملموسةً شهاداتُ اللقاء مع الكلمة التي نجدها في عالم البيبليا (يش ٢٤؛ نح ٨؛ أع ٢) وعلى مدِّ تاريخ الكنيسة.

٤ – **وفي شكل أخصّ**، يسعى هذا السينودس، وفي تواصل مع السينودس السابق، أن يُبرز العلاقة الباطنة بين الإفخارستيّا وكلام الله، إذ إنَّ الكنيسة "لا تني تأخذ خبز الحياة [الواحد] من مائدة كلام الله كما من مائدة جسد المسيح"[٦]. ذاك هو الباعث العميق، وفي الوقت عينه، الهدف الأوَّل للسينودس: ملء لقاء كلام الله في الربِّ يسوع، الحاضر في الكتاب المقدَّس وفي الإفخارستيّا. وقد أكَّد القدّيس إيرونيموس: "جسد الربّ طعام حقيقيّ، ودمه شراب حقيقيّ: ذاك هو الخير الحقيقيّ الذي حُفظ لنا في هذه الدنيا: التغذّي من جسده وشرْبُ دمه، لا في الإفخارستيّا فحسب، بل في قراءة الكتب المقدَّسة أيضًا. فكلام الله الذي نستقيه من معرفة الكتب المقدَّسة هو طعام حقيقيّ وشراب حقيقيّ"[٧].

ولكن قبل الشروع في ذلك، ينبغي أن نتساءل، وبعد أربعين سنة على المجمع الفاتيكانيّ الثاني: **أيَّ ثمار** أعطت الوثيقة المجمعية **كلام الله** في جماعاتنا، وكيف قبلناها حقًّا؟ بالنسبة إلى كلام الله، لا شكَّ في أنّ نتائج إيجابيَّة عديدة قد تحقَّقت في شعب الله. ذاك وضع التجديد البيبليّ في إطار الليتورجيّا، واللاهوت، والفقاهة، أو أيضًا في إطار نشر الكتب المقدَّسة واستعمالها في الرسالة البيبليَّة واندفاع الجماعات والحركات الكنسيَّة، وأخيرًا في إطار التوفّر المُطَّرد لوسائل الاتصال المعاصر وأدواته. ولكن بقيت بعدُ وجهات أخرى **مفتوحة ومشكلة**. فظواهر الجهل واللايَقين في عقيدة الوحي وكلام الله أمران خطيران؛ وانفصال مسيحيّين كثيرين عن البيبليا يبقى كبيرًا، كما خطرُ استعمال خاطىء لهذه الأخيرة؛ فبدون حقيقة الكلمة تصبح نسبيَّة الفكر والحياة غادرة. فنحسّ بضرورة ملحَّة أن نعرف كامل المعرفة إيمان الكنيسة حول كلام الله، وأن نوسِّع، بنُهُوج موافقة، اللقاء مع الكتاب المقدَّس بالنسبة إلى جميع المسيحيّين، وأن نأخذ بطرق جديدة يحرِّكها الروح اليوم، لكي يُعرَف كلام الله في مختلف تجلِّياته، ويُسمَع ويُحَبّ ويُعَمَّق ويُعاش في الكنيسة، بحيث يصبح كلامَ حقٍّ وقداسة من أجل جميع البشر.

٥– **هدف هذا السينودس** رعائيّ بامتياز؛ فحين نعمِّق الأمور العقائديَّة، ونتيح لها أن تنيرنا، نسعى إلى توسيع اللقاء مع الكلمة وتثبيته، على أنَّها ينبوع حياة في مختلف أوساط الاختبار، فنطرح من أجل هذا على المسيحيّين وعلى ذوي الإرادة الصالحة، طرقًا صحيحة وعمليَّة للإصغاء إلى الله والتحدُّث معه.

وفي شكل ملموس، أحد أغراض السينودس هو العمل على توضيح الوجهات الأساسيَّة الحقيقيَّة حول الوحي، مثل كلام الله، والتقليد، والبيبليا، والسلطة التعليميَّة، التي تعلِّل طريق إيمان مقبول وفاعل وتكفله، وتحرِّك الاحترام والحبّ العميق للكتب المقدَّسة، بحيث يكون "الاقتراب منها

(٥) Benedictus XVI, *Ad Conventum internationalem La Sacra Scrittura nella vita della Chiesa* (16.09.2005): *AAS* 97 (2005) 957. Cf. Paulus VI, Ep. Ap. *Summi Dei Verbum* (04.11.1963): *AAS* 55 (1963) 979-995; Ioannes Paulus II, *Audience générale* (22.05.1985): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (28.05.1985) n°22, p. 12; *Discours sur l'interprétation de la Bible dans l'Église* (23.04.1993): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (04.05.1993) n°18, p. 6; Benedictus XVI, *Angelus* (06.11.2005): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (06.11.2005) n°45, p. 1.

(٦) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ٢١.

(٧) القدّيس إيرونيموس، **تفسير سفر الجامعة**، ٣١٣: *CCL* 72,278.

[...] مفتوحًا واسعًا للمسيحيّين"[٨]، وتجدِّد الإصغاء إلى كلام الله في الوقت الليتورجيّ والفقاهيّ، وفي شكل خاصّ مع **القراءة الربيّة** المكيَّفة بشكل صحيح مع مختلف الظروف، وتقدِّم لعالم المساكين كلام تعزية ورجاء.

وهكذا فهذا السينودس يودُّ أن يعطي لشعب الله كلمة تكون خبزًا؛ هو يتوخّى إذًا أن يدفع ممارسة فساريَّة صائبة للكتاب المقدَّس، موجِّهًا توجيهًا صحيحًا المسيرة الضروريَّة للأَنْجَلَة وللمُثاقفة؛ ويودُّ أن يستهلّ المواجهة والحوار بين اليهود والمسيحيّين[٩]، وفي شكل أوسع، الحوار بين الديانات وبين الثقافات. فالسينودس يتوخّى تحقيق هذه الأغراض، وغيرها أيضًا، في ثلاثة فصول:

– الوحي، كلام الله، الكنيسة (الفصل الأوّل)

– كلام الله في حياة الكنيسة (الفصل الثاني)

– كلام الله في رسالة الكنيسة (الفصل الثالث)

سيساعد هذا على توحيد الزمن المؤسَّس والزمن الذي يعمل فيه كلام الله في الكنيسة.

إذًا، لا تتوخّى هذه **الخطوط العريضة** أن تقدِّم مجموع البواعث وتطبيقات اللقاء مع كلام الله، بل أن تشير، على ضوء المجمع الفاتيكانيّ الثاني، إلى الجوهريَّة منها، فتبرز في الوقت عينه المعطى العقائديّ والاختبار العمليّ، وتدعو إلى الإسهام لاحقًا مع إرفادات خاصَّة.

أسئلة حول المقدِّمة

١ – ما هي "**علامات الأزمنة**" في بلدكم، التي تجعل هذا السينودس حول كلام الله أمرًا ملحًّا؟

٢ – أيّ علاقة نجد بين السينودس السابق حول **الإفخارستيّا** وهذا السينودس حول **كلام الله**؟

٣ – هل هناك تقاليد **خبرة بيبليَّة** في كنيستكم المحلِّيَّة؟ ما هي؟ هل هناك فِرَقٌ بيبليَّة؟ من أيِّ نمط هي؟

* * *

(٨) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ٢٢.

(٩) اللجنة الحبريّة البيبليّة، **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤/٥/٢٠٠١):
Enchiridion Vaticanum 20, EDB, Bologna 2004, pp. 507-835.

الفصل الأوَّل
الوحي، كلام الله، الكنيسة

"كلَّم الله آباءنا من قديم الزمان بلسان الأنبياء مرّات كثيرة وبمختلف الوسائل، وفي الأيّام الأخيرة كلَّمنا بابنه الذي جعله وارثًا لكلِّ شيء وبه خلق العالم" (عب ١: ١-٢).

المبادرة تأتي من الله، والوحي الإلهيّ يتجلّى على أنّه كلام الله

٦- "سُرَّ الله في لطفه وحكمته أن يكشف عن نفسه وأن يعرِّف سرَّ مشيئته"(١٠). تجاه خطر به نسجن سرَّ الله في بُنًى محض بشريَّة، وفي علاقة باردة وكيفيَّة، قدَّم المجمع الفاتيكانيّ الثاني، في الدستور العقائديّ **كلام الله**، مجمل إيمان الكنيسة، وهو إيمان عمره أجيال عديدة، عارضًا **الخطوط الرئيسيَّة لتفكير صحيح**. يتجلّى الله بشكل مجّانيّ وموجَّه من أجل إقامة علاقة بَيْشخصيَّة من الحقيقة والحبِّ مع الإنسان والكون اللذين خلق. هو يكشف عن ذاته في الواقع المنظور للكون والتاريخ "بأقوال وأعمال [...] المرتبطة في ما بينها ارتباطًا وثيقًا"(١١)، وبيَّن هكذا "تدبير الوحي"، أي مشروعًا يتوخّى خلاصَ الإنسان ومعه الخليقة كلّها. وهكذا تنكشف أمام عيوننا، دفعةً واحدة، الحقيقةُ حول الإله الواحد والثالوث، والحقيقة حول الإنسان الذي يحبُّه الله، ويتوخّى أن يجعله سعيدًا، والحقيقة التي تستقي عظم بهائها من يسوع المسيح الذي "هو وسيط الوحي كلّه وملؤه"(١٢).

وعلاقة الاتِّصال المجّانيّ هذه، التي تفترض مشاركة عميقة، قياسًا مع الاتِّصال على مستوى البشر، يدعوها الله ذاته، كلامَه، "كلام الله". لهذا ينبغي أن تُفهم فهمًا جذريًّا على أنّها فعل شخصيّ من الإله الواحد والثالوث، الذي يحبّ، وبالتالي يتكلَّم، والذي يتكلَّم مع الإنسان لكي يعرف هذا الأخير هذا الحبّ ويتجاوب معه(١٣). هذا ما تثبته قراءة متنبِّهة للبيبليا من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. وحين يُقرأ كلام الله، وبخاصَّة يُعلَن، كما هو الأمر بالنسبة إلى الإفخارستيّا، "الذي هو السرّ السرّ"(١٤)، وفي سائر الأسرار، يدعونا الربُّ ذاته لكي "نحقِّق" حدثًا بَيْشخصيًّا، فريدًا وعميقًا، من التشارك بينه وبيننا، وبيننا جميعًا؛ فكلام الله فاعل، ويحقّق ما يقول (عب ٤: ١٢).

الإنسان بحاجة إلى الوحي

٧- يستطيع **الإنسان** أن يعرف الله انطلاقًا من وسائل منحه الله إيّاها (رو ١: ٢٠)، خصوصًا عالم الخليقة (**كتاب الطبيعة**). ومع ذلك، وفي الظروف التي يجد نفسه فيها بسبب الخطيئة، صارت هذه المعرفة غامضة ولا أكيدة، وينكرها العديدون. غير أنَّ الله لا يتخلّى عن خليقته، فيُدخل فيها، وإن لم يُعرَف ذلك دومًا، **رغبةً في النور والخلاص والسلام**. وهذه الرغبة ما زالت حاضرة عبر إعلان الإنجيل في العالم كلِّه، فتُنتج قيمًا دينيَّة وثقافيَّة تساعد عددًا كبيرًا من الناس على مسيرة البحث عن إله يسوع المسيح.

وفي **حياة شعب** الله عينها، ندرك توقًا حادًّا، وحاجة، إلى تذوُّق إيمان نقيّ وجميل، فننزع حجاب الجهل واللُّبس والحذر بالنسبة إلى الله والإنسان، بحيث نميِّز ونقوّي انتصارات التقدُّم الكثيرة في حقيقة الله. إذًا، نستطيع أن نتكلَّم عن حاجة عميقة ومنتشرة تفعل فعل نداء، فتفتح بشكل وجوديّ على حقيقة الوحي الذي حقَّقه الله ذاته من أجل خير البشريَّة، أي الإصغاء إلى كلمته. فالاهتمام بها يشكّل أساس

(١٠) المجمع الفاتيكانّي الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ٢.
(١١) المرجع ذاته.
(١٢) المرجع ذاته.
(١٣) المرجع ذاته.
(١٤) *Missale Romanum*, Editio typica tertia, Typis Vaticanis, Città del Vaticano 2002, *Institutio generalis*, n. 368.

أغراض السينودس من أجل تردّدات في العمل الرعائيّ، إذ يُبرز صحّة مسيرة الأنجلة الجديدة ويشجّعها، ويتيح لنا في الوقت نفسه أن ندرك تعليمات ثمينة من أجل الحوار المسكونيّ بين الديانات وبين الثقافات.

كلام الله يتناسج مع تاريخ الإنسان ويوجِّه طريقه

٨- في بعض الثقافات، يحسُّ الإنسان المعاصر أنَّه صانع تاريخ، وبالتالي سيِّده، فيستصعب أن يقبل بتدخُّل أحد في عالمه، دون حوار معه وإعطاء أسباب حضوره. وقد يُوجَد مثلُ هذا الموقف تجاه الله، في شكل مخطئ غالبًا، فيتميَّز في كلِّ حال بالشك. غير أنَّ الله الذي لا يقدر أن يُسكت حقيقة كلامه، يطمئن الإنسان أنَّه دومًا أمام كلام صديق، من أجل خيره، في احترام حرِّيَّته، ولكنَّه يطلب منه في الوقت عينه أن يصغي إلى هذا الكلام بصدق، وأن يتأمَّله. فينبغي على كلام الله أن "يظهر مثل انفتاح على تساؤلات [الإنسان]، وجوابًا على أسئلته، وتوسيعًا لقيمه، وفي الوقت عينه، إرضاء لأعمق توق فيه" (١٥). وعلى ضوء الدستور المجمعيّ **كلام الله** أيضًا نعرف أنَّ كلمته، التي تفوَّه بها الله تسبق كلَّ مبادرة وكلام بشريَّين، تتوخَّى أن تفتح للإنسان آفاقًا لامنتظرة من الحقيقة والمدلول، كما تشهد على ذلك نصوص تك ١؛ يو ١؛ ١ي؛ عب ١: ١؛ رو ١: ١٩-٢٠؛ غل ٤: ٤؛ كو ١: ١٥-١٧. وأكَّد القدّيس غريغوار الكبير: "حين تتنازل الكتب المقدَّسة وتستعمل كلماتنا الضعيفة، فلكي تصعدنا بلطف، درجةً درجة، ممّا نراه قريبًا منّا إلى تساميه" (١٦).

منذ البدايات، أراد الله أن "يفتح طريق الخلاص الأبديّ" (١٧). وعلى ضوء الكتاب المقدَّس، أُعطيَ لنا أن نتعلَّم كيف بدأت كلمتُه القديرة حوارًا حيًّا، دراماتيكيًّا في بعض الأحيان، ولكنّه في النهاية منتصرًا، مع البشريَّة منذ بداياتها، ثمَّ في تاريخ شعبه، إسرائيل، وصولاً إلى الوحي السامي في تاريخ يسوع المسيح، كلمته الأبديَّة المتجسِّدة (يو ١: ١٤). وقد أنشد أفرام: "عند ذاك شاهدتُ الكلمة الخالق وقابلته بالصخر السائر مع الشعب في وسط البرّيَّة. ما جمع في ذاته مياهًا ولا خزّن، ومع ذلك صبّ على الشعب سيولاً عجيبة. لا مياه فيه، ولكن منه تفجّرت محيطات البحار. فمن لا شيء خلق الكلمةُ صنائعَه. طوبى لمن يستحقّ أن يرث فردوسك! صوَّر موسى في كتابه خلق الطبيعة كلِّها لكي تشهد للخالق الطبيعةُ والكتاب؛ الطبيعة بالاستعمال، والكتاب بالقراءة: هذان هما شاهدان ينتشران في كلِّ مكان، ويُوجَدان في كلِّ زمان، ويحضران في كلِّ ساعة، فيبيِّنان للكافر نكرانه لجهل خالقه (١٨).

ولهذه النظرة إلى كلام الله **وقعٌ قويٌّ في العمل الرعائيّ**؛ فهي تُناسِج تاريخه وتاريخ البشر، وتجعل نفسها تاريخَ البشر، بحيث إنَّ تاريخنا البشريّ لا يتألَّف فقط من أفكار وأقوال ومبادرات بشريَّة. هي تُبرز آثارًا حيَّة في الطبيعة وفي الثقافة، وتنير علوم الإنسان لتأخذ قيمتها الصحيحة، وتساعد أيضًا بواسطة هذه العلوم أن توضح هويَّتها الخاصَّة، وأن تجعل الإنسانيَّةَ الأصيلةَ التي هي إنسانيَّتُها تُشعّ. وفي شكل أخصّ، هي كلمة اختارت لنفسها شعبًا لتقاسمه طريق الحرّيَّة والخلاص، إذ تبرز جدِّيَّة الله الثابتة والصابرة: أن يكون "عمانوئيل" (أش ٧: ١٤)، "إلهنا معنا" (أش ٨: ١٠؛ رج رو ٨: ٣١؛ رؤ ٢١: ٣)، هذا يتيح لنا أن نفهم كيف أنَّ الكلمة، وبفضل شهادة البيبليا، وجدت صدى في أفكار الإنسان وتعابيره على مدِّ الأجيال، وبعض المرّات في شكل التواء ومُعاناة، في أصوات التاريخ المعتَّمة، فتخرج نتائج خارقة تتجلّى عبر

(١٥) Paulus VI, Lettre au IVème Congrès national français de l'enseignement religieux (01-03.04.1964): *La Documentation Catholique* n° 1422 (19.04.1964), p. 503.

(١٦) S. Gregorius Magnus, *Moralia*, 20,63: *CCL* 143A, 1050.

(١٧) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ٢.

(١٨) القدّيس أفرام، **منظومة الفردوس**، 5: 1–2: SC 137، 71–72.

القدّيسين بشكل مُبلبِل. فحين عاش هؤلاء القدّيسون كاريسماتهم الخاصَّة كموهبة من الروح القدس، بيّنوا الإمكانات الهائلة والأصيلة في كلام الله حين تُؤخَذ بجدِّيَّة.

ويهمُّنا اليوم بشكل خاصّ أن نساعد على فهم العلاقة الصحيحة بين الوحي العلنيّ الذي يشكِّل قانون الإيمان المسيحيّ، والإيحاءات الخاصَّة، فنميِّز كيف تكون هذه الحقائق ملائمة للإيمان الأصيل.

يسوع المسيح هو كلمة الله المتجسِّد، ملءُ الوحي

٩– "كلَّم الله آباءنا من قديم الزمان بلسان الأنبياء مرّات كثيرة بمختلف الوسائل، وفي هذه الأيّام الأخيرة كلَّمنا بابنه" (عب ١: ١ي). يتوصَّل المسيحيّون في شكل عام إلى أن يُدركوا الطابع المركزيّ لشخص يسوع المسيح في وحي الله. ولكنَّهم لا يعرفون دومًا أسباب هذه الأهمِّيَّة، ولا يفهمون كيف أنَّ يسوع هو في قلب كلام الله؛ لهذا، ففي قراءة البيبليا أيضًا يصادفون صعوبات في قراءة هذا الوحي من منظار مسيحيّ.

فينبغي دومًا على ضوء الدستور المجمعي **كلام الله**، أن نتذكَّر أنَّ الله أراد مبادرة لامتوقَّعة كليًّا، ومع ذلك محقَّقة: "أرسل ابنه، أي الكلمة الأزليّ، الذي ينير كلَّ البشر، لكي يقيم في وسطهم، ويشرح لهم أسرار الله" (يو ١: ١–١٨)، بحيث إن يسوع المسيح الكلمة المتجسِّد، الإنسان الذي أرسل وسط البشر، "ليقول أقوال الله" (يو ٣: ٣٤)، ويحقِّق كلَّ عمل الخلاص الذي أوكله إليه الآب (يو ٥: ٣٦؛ ١٧: ٤) [١٩]. ففي حياته على الأرض، والآن في حياته في السماء، يأخذ يسوع الهدف كلَّه ويحقِّقه، مع المعنى، والتاريخ، والمشروع الذي يتضمّنه كلام الله، كما قال القدّيس إيرينيه: "حين أتى المسيح بيننا جعل كلَّ شيء جديدًا" [٢٠].

ويهمُّنا على ضوء يسوع المسيح، **وعلى المستوى الرعائيّ**، أن نعرف عن طريق القياس، أن نقطف القيمة المتعدِّدة التي يحملها كلام الله في إيمان الكنيسة بحسب شهادة البيبليا عينها. فهو يتجلّى ككلمة الله الأبديَّة، ويشعّ في الحق ويتَّخذ منحى تاريخيًّا عند الأنبياء، ويتجلّى في شخص يسوع، ويتواصل في صوت الرسل، ويُعلَن اليوم في الكنيسة. هو يشكّل كُلاًّ، مفتاح تفسيره هو المسيح الكلمة، بقوّة الروح القدس. "فكلام الله الذي كان في البدء لدى الله، ليس، في ملئه، كلمات متعدِّدةً: هو لا يتكوَّن من أقوال كثيرةً، بل هو الكلام الوحيد، الذي يضمُّ عددًا كبيرًا من الفكرات، حيث كلُّ فكرة هي جزء من الكلمة كلِّها[...]. وإن أعادنا المسيح إلى الكتب المقدَّسة، كتلك التي تشهد له، فقد اعتبر أسفار الكتب المقدَّسة مثل لفيفة واحدة، لأنَّ كلَّ ما كُتب عنه هو موجَز في هذا الكلِّ الواحد" [٢١]. نرى هنا تواصلاً في الاختلاف.

وتؤمِّن الكنيسة إعلانًا جوهريًّا لغنى هذه الكلمة؛ فالجماعة المسيحيَّة تحسُّ أنَّها وُلدت وتجدَّدت بكلام الله، إذا عرفت أن تفهمها في يسوع المسيح. تلك حقيقة. وهناك حقيقة أخرى هي أنَّ كلام يسوع، أي يسوع نفسه، ينبغي أن يُفهَم "بحسب الكتب" (لو ٢٤: ٤٤–٤٩)، أي في تاريخ شعب الله في العهد القديم، الذي انتظره كالمسيح، والذي يعلنه الآن، مع الكرازة، في تاريخ الجماعة المسيحانيَّة، ويتأمّل فيه مع البيبليا، ويختبر صداقته وقيادته في الوجود. وقد أكَّد القدّيس برنار على مستوى تجسُّد الكلمة، أنَّ المسيح هو مركز الكتاب المقدَّس كلِّه. "فكلام الله الذي كان يُسمَع في العهد القديم، صار منظورًا في المسيح" [٢٢].

(١٩) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ٤.

(٢٠) القدّيس إيريناوس، **ضدّ الهراطقة**، ٣٤، ٤، ١: SC 100,847.

(٢١) أوريجانوس، في يوحنَّا، ٥، ٥–٦: SC 120,380–384.

(٢٢) Cf. S. Bernardus, *Super Missus est*, Homilia IV,11: *PL* 183,86.

كلام الله سمفونيَّة

١٠- إنَّ التعليمات المعطاة سابقًا، تتيح لنا الآن أن نرسم المعنى الذي تعطيه الكنيسة لكلام الله على ضوء الوحي. هو سمفونيَّة تفسِّرها آلات عديدة، حيث ينقل كلامًا بأشكال كثيرة ووسائل مختلفة (عب ١: ١)، خلال تاريخ طويل، وعبر مبشِّرين مختلفين، لكن مع تراتبيَّة المدلولات والوظائف. فمن الحقِّ أن نتكلَّم عن معنى تشابهيّ للكلمة.

أ- على ضوء الوحي، **كلام الله هو كلمة الله الأزليّ**، الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس، ابن الآب، وأساس المشاركة داخل الثالوث وخارجه. "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة كان الله. كان في البدء مع الله. كلٌّ به كان، وبدونه ما كان شيء" (يو ١: ١-٣؛ رج كو ١: ١٦).

ب- من هذا القبيل، **العالم المخلوق** "يروي مجدَ الله" (مز ١٩: ١)، وصوتُه هو في جميع الأشياء (سي ٦٤: ١٧؛ مز ٦٨: ٣٤). في بداية الأزمنة، خلق الله الكون بكلمته، فختم الخليقة بختم حكمته، التي يكون الإنسان مفسِّرها الطبيعيّ، هو المخلوق على صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٦-٢٧؛ رو ١: ١٩-٢٠). فالكلمة يعطي الكلام للإنسان ليفتح حوارًا مع الله ومع الخليقة. وهكذا جعل الله الخليقة والإنسان، أوَّلًا، "شهادة متواصلة عنه" [(٢٣)].

ج- "الكلمة صار بشرًا" (يو ١: ١٤): كلام الله في سموِّه، الكلام الأخير والنهائيّ، هو **يسوع المسيح**، بشخصه ورسالته وتاريخه، المرتبطة ارتباطًا حميمًا، بحسب قصد الله الذي يجد ذروته في الفصح، ويتحقَّق حين يسلِّم يسوع المُلك للآب (١ كو ١٥: ٢٤). إنَّه إنجيل الله للإنسان (مر ١: ١).

د- من أجل الكلمة الذي هو الابن المتجسِّد، تكلَّم الآب في الأزمنة السابقة، بواسطة الأنبياء (عب ١: ١)، وبقوَّة الروح يواصل الرسل إعلان يسوع وإنجيله. وإذ صارت كلمات البشر في خدمة كلمة الله الوحيدة اتُّخذَت على أنَّها كلمات الله، فتردَّد صداها في **إعلان الأنبياء والرسل**.

هـ- وإذ ثبَّت الكتابُ المقدَّس كلامَ يسوع في أقوال الأنبياء والرسل بقوَّة الوحي الإلهي، شهد له في شكل صريح. والنتيجة هي أنَّه يتضمَّن كلام الله، وبما أنَّه موحى، فهو بالحقيقة كلام الله [(٢٤)]، وموجَّه كلُّه إلى الكلمة الذي هو يسوع، "لأنَّ [الكتب] هي التي تشهد لي" (يو ٥: ٣٩). أمّا في ما يخصُّ موهبة الإلهام، **فأسفار الكتب المقدَّسة** تحمل قوَّة نداء مباشر وملموس، لا نجده في نصوص أخرى ولا في مداخلات كنسيَّة.

و- ولكنَّ كلام الله لا يبقى محجوزًا في الكتابات؛ فإن كان فعل الوحي قد خُتم مع موت آخر الرسل [(٢٥)]؛ فالكلام الموحى لا يزال يُعلَن ويُسمَع في تاريخ الكنيسة، التي تلتزم بأن تحمله إلى العالم تجاوبًا مع انتظاراته. هكذا تواصل الكلمة سعيَها عبر **الكرازة الحيَّة**، وفي أشكال أخرى متعدِّدة في خدمة الأنجلة: من هذا القبيل، الكرازة هي كلام الله، الذي يهبه الله الحيّ لأناس يعيشون في يسوع المسيح بوساطة الكنيسة. وانطلاقًا من هنا، نستطيع أن نفهم أنَّه، حين يُكرَز بوحي الله، يتحقَّق في الكنيسة حدثٌ يمكن أن يُدعى كلام الله.

ينبغي أن نقرَّ بأنَّ لكلام الله كلَّ صفات الاتِّصال البَيْشخصيّ الصحيح، كما الوظيفة الإعلاميَّة، مثلاً، بحيث ينقل الله حقيقته؛ هي وظيفة تعبيريَّة بحيث يتيح الله لنا بأن نستشفَّ طريقة التفكير عنده والحبّ والعمل؛ وهي وظيفة منادية، حيث يوجِّه الله كلامه، ويدعو إلى الإصغاء وإلى جواب إيمانيّ.

يعود إلى الرعاة أن تكون لهم

(٢٣) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ٣.

(٢٤) المرجع ذاته، ٢٤.

(٢٥) المرجع ذاته، ٤.

هذه الرؤية المتناسقة للكلمة، بحيث يتجنّبون أشكال فهم خاطئة، محصورة أو ملتبسة، ويلقون الضوء على ارتباطها الباطنيّ بسرِّ الإله الواحد والثالوث، وبوحيه، وبتجلّيه في العالم المخلوق، وحضوره كبذار في حياة الإنسان وتاريخه، وبتعبيره السامي في يسوع المسيح بشهادته المعصومة في الكتاب المقدّس، وانتقاله في التقليد الحيّ. وبالنسبة إلى سرِّ كلام الله، الذي صار لغة بشريّة، نتنبّه إلى البحث العمليّ حول اللغة وانتقالها.

إيمان الإنسان يقابل كلام الله، والإيمان يتجلّى في الإصغاء

١١– "ينبغي أن نحمل طاعة الإيمان إلى الله الذي يوحي" [٢٦]. هو يعطي ذاته حين يتكلّم، والإنسان الذي يُصغي "يسلِّم إليه ذاته كلَّها وبحرِّيَّة" [٢٧]. هذا يتضمَّن من قبل الجماعة ومن كلِّ مؤمن بمفرده [٢٨] جوابًا تامًّا على عرضِ المشاركة الكاملة معه، والالتصاق بمشيئته. ويتجلّى مثل هذا الموقف من الإيمان والمشاركة، في كلِّ لقاء مع الكلمة، في الكرازة الحيَّة وفي قراءة البيبليا. وليس من قبيل الصدف إن كان الدستور المجمعيّ **كلام الله** يعرض، من أجل اللقاء مع الكتاب المقدّس، ما يقول بشكل إجماليّ عن كلام الله: "الله [...] يتوجَّه إلى البشر كما إلى أحبّاء [...] ليدعوهم إلى الدخول معه في مشاركة، ويستقبلوه في هذه المشاركة"[٢٩]. "ففي الكتب المقدَّسة، يتقدّم الآب الذي في السماوات بشكل محبٍّ جدًّا للقاء أبنائه بمحبَّة كبيرة، ويقيم الحوار معهم" [٣٠]. والوحي هو شركة حبّ، انطلاقًا من الكتاب المقدَّس، الذي يعبَّر عنه غالبًا بلفظة "**العهد**" (تك ٩: ٩؛ ١٥: ١٨؛ حز ٢٤: ١–١٨؛ مر ١٤: ٢٤).

هنا نلامس وجهة لها **تأثير رعائيّ** قويّ: فالإيمان يعني كلام الله في كلِّ علاماته ولغاته. إنَّه إيمان يتقبَّل من الكلمة، بفعل الروح القدس، إبلاغ الحقيقة، عبر السرد أو الصيغة العقائديّة؛ إنَّه إيمان يرى في الكلمة الميزة بأن تكون التشجيع الأوَّل من أجل اهتداء فاعل، والنور من أجل الإجابة على أسئلة عديدة في حياة المؤمن، والدليل من أجل تمييز صحيح يحكم على الواقع، والدافع إلى "صنع" الكلمة (لو ٨: ٢١)، لا قراءتها فقط والتلفُّظ بها، وفي النهاية، الينبوعَ الدائم للعزاء والرجاء. والمنطق المتين في الإيمان الذي ينبع منها هي مهمَّة التعرُّف إلى كلام الله وتأمين الأوَّليَّة له في حياة كلِّ مؤمن، فيقبله كما تعلنه الكنيسة وتفهمه وتشرحه وتحياه.

مريم مثال المؤمن في قبول الكلمة

١٢– في السبيل الذي يلج سرَّ كلام الله، تبقى مريم بنت الناصرة، وانطلاقًا من حدث البشارة، مربِّيةَ الكنيسة وأمَّها، والمثالَ الحيّ لكلِّ لقاء شخصيّ وجماعيّ مع الكلمة: تقبَّلتها في الإيمان، وتأمَّلتها، واستبطنتها، وعاشتها (لو ١: ٣٨؛ ٢: ١٩، ٥١؛ أع ١٧: ١١). فمريم كانت **تسمع** الكتب المقدَّسة وتتأمَّلها، وتربطها بأقوال يسوع وبالأحداث التي كانت تكتشف على مدِّ تاريخها. أعلن إسحق النجم: "في الكتابات التي يلهمها الله، ما يُقال بشكل عامّ للكنيسة، العذراء والأمّ، ينطبق بشكل فرديّ على مريم، العذراء والأمّ [...]؛ فالكنيسة هي الوارثة الشاملة للربّ، ومريم هي الوارثة بشكل أخصّ، وكلّ نفس مؤمنة بشكل خاصّ. ففي هيكل حشا مريم، يلبث المسيح تسعة أشهر، وفي هيكل إيمان الكنيسة، لبث حتّى

(٢٦) المرجع ذاته، ٥.

(٢٧) المرجع ذاته.

(٢٨) المرجع ذاته، ٢؛ ٥.

(٢٩) المرجع ذاته، ٢.

(٣٠) المرجع ذاته، ٢١.

نهاية العالم في معرفة النفس المؤمنة وفي حبّه لها إلى الأبد" (٣١).

عرفت مريم أن تنظر حولها، وأن تعيش الحاجات اليوميَّة الملحَّة، وهي واعية بأنَّ ما تتقبّله عطيَّةً من الابن، هو عطيَّة من أجل البشر جميعًا. فهي تعلّمنا بألاّ نبقى متفرِّجين، غرباء عن كلمة الحياة، بل أن نشارك فيها، ونترك الروح القدس الساكن في مَن يؤمن يقودنا. فمريم "عظَّمت" الربَّ واكتشفت في حياتها رحمة الله التي جعلتها "مُطَوَّبةً" لأنَّها "آمنت بما يتمُّ فيها ممّا قيل لها من قبل الربّ" (لو ١: ٤٥). إضافة إلى ذلك، هي تدعو كلَّ مؤمن إلى أن يتبنّى كلمات يسوع: "طوبى للذين لم يروا وآمنوا" (يو ٢٠: ٢٩). فمريم هي صورة مصلّي الكلمة الحقيقيّ، الذي يعرف أن يحفظ كلام الله بحبّ، جاعلاً منها خدمةَ محبَّة، وذكرًا مستمرًّا لإمساك سراج الإيمان مشتعلاً في حياتنا اليوميَّة. ففي نظر القدّيس أمبروسيوس، كلُّ مسيحيّ يؤمن، يحمل بكلمة الله، ويلده. وإن لم يُوجَد سوى أمٍّ واحدة للمسيح بحسب الجسد، فبحسب الإيمان يسوع هو ثمرة الجميع (٣٢).

كلام الله المسلَّم إلى الكنيسة، ينتقل إلى جميع الأجيال

١٣. "ما سبق الله وأوحاه لخلاص جميع البشر، قرَّر في لطفه العظيم أن يحافظ عليه، على الدوام بدون تبدُّل، وينقله إلى جميع الأجيال" (٣٣). فالله محبُّ كلِّ البشر وأبوهم، يتكلَّم اليوم أيضًا. والوحي الذي اكتمل، يُنقَل الآن أيضًا، في شكل من الأشكال، بحيث إنَّ كلام الله معاصر على الدوام وآنيّ، بل يمكنه أيضًا أن يكشف أكثر رَفْدَ نوره ويوسِّع فهمنا. هذا ممكن لأنَّه، حين أعطى الآبُ روحَ يسوع للكنيسة، سلَّم إليها كنز الوحي (٣٤)، فجعلها أوَّلَ مقصد كلمة الله المحبَّة والخلاصيَّة، والشاهدةَ المميَّزةَ لها.

لهذا، ليست الكلمة مستودعًا جامدًا في الكنيسة، بل هي "قاعدة الإيمان السامية"، وقدرة حياة، "تُنشر في الكنيسة بإسعاف الروح القدس"، وتكبر [...] بالمشاهدة والدراسة التي يقوم بها المؤمنون" (٣٥)، عبر الخبرة الروحيَّة في الحياة الشخصيَّة وبكرازة الأساقفة. وهذا ما يشهد له بشكل خاصّ رجال الله الذين "سكنوا" الكلمة (٣٦). ومن الواضح أنّ المهمَّة الأكيدة والأولى للكنيسة، هي نقل كلام الله إلى جميع البشر، في كلِّ الأزمنة وفي كلِّ الأمكنة، بحسب وصيَّة يسوع (مت ٢٨: ١٨-٢٠). والتاريخ يبيِّن كيف حصل ذلك ويحصل اليومَ أيضًا بحيويَّة وخصب كبيرين، بالرغم من مرور قرونٌ مديدة مثقلة بعوائق عديدة.

التقليد والكتاب في الكنيسة: مستودع واحد مقدّس لكلام الله

١٤. إنّه لأمر أساسيّ، في هذا المجال أن نذكر أنَّ كلام الله الذي صار في المسيح إنجيلاً أو **خبرًا طيِّبًا**، ومُسَلَّمًا إلى كرازة الرسل، يواصل جريَه وَفْق نقطتين مرجعيّتين واضحتين، ومرتبطتَين الواحدة بالأخرى ارتباطًا وثيقًا: المدُّ الحياتيّ للتقليد الحيّ الذي يكشفه "كلُّ ما هو في ذاته، وكلُّ ما يؤمن به" (٣٧)، وبالتالي شعائرُ العبادة والتعليمُ وحياةُ الكنيسة، ثمَّ الكتابُ المقدَّس، الذي بإلهام الروح القدس، وَلاَتَبَدُّلُ الكتاب المقدَّس، يحفظ بحقّ العناصر الأصيلة التي تكوِّن هذا التقليد

(٣١) Isaac de Stella, *Sermo* 51: *PL* 194,1862-1863.1865.

(٣٢) القدّيس أمبروسيوس، **الإنجيل بحسب لوقا** ٢: ١٩: *CCL* 14,39.

(٣٣) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في **الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٧.

(٣٤) المرجع ذاته، ٢٦.

(٣٥) المرجع ذاته، ٨؛ رج ٢١.

(٣٦) **كتاب التعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ٨٢٥.

(٣٧) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في **الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٨.

الحيّ. "فالتقليد المقدَّس والكتاب المقدَّس في عهدَيه، هما كمرآة فيها تشاهد الكنيسةُ الله، خلال حجِّها على الأرض، ومنهما تنال كلَّ شيء إلى أن تصل إلى غايتها أن تراه وجهًا لوجه كما هو (١ يو ٣: ٢)" (٣٨). يبقى على السلطة التعليميَّة في الكنيسة، التي ليست أسمى من كلام الله "أن تفسِّر كلام الله المكتوب والمنقول تفسيرًا صحيحًا" (٣٩).

شدَّد المجمع الفاتيكانيّ الثاني على الوحدة الأصليَّة وعلى الرباطات العديدة بين التقليد والكتاب المقدَّس: فالكنيسة تقبلهما "بعاطفة متساوية من التقوى والاحترام" (٤٠). والسلطة التعليميَّة تقدِّم خدمة لا تحلُّ محلَّها خدمة حين "تصغي بتقوى إلى الكلمة، وتحفظها بورع، وتشرحها بأمانة" (٤١). وهكذا تكفل لكلام الله التفسير الصحيح.

من الوجهة الرعائيَّة، وفي خطِّ تعليم الكنيسة، توضَّحت العلاقات بين التقليد والكتاب، على مستوى المضمون، وتترجمت خبرة حياة، والمثال على ذلك، في الأصل، سبق التقليدُ الكتب المقدَّسة، وهو لها دومًا تربتها العضويّة الحياتيّة التي تفهمنا "الكتابات المقدَّسة نفسها [...]، وتساعد على ولوجها"، وتجعلها "ناشطة بشكل لا يُحدّ" (٤٢). ومن جهة ثانية، "تحتفظ هذه الأقوال بقيمتها [...]، في شكل رائع، بالنسبة إلى الكتاب المقدَّس: "كلمة الله حيَّة وفاعلة" (عب ٤: ١٢)، "وهي القادرة على تشييد البناء وإعطاء المؤمنين الميراث مع جميع المقدَّسين" (أع ٢٠: ٣٢؛ رج ١ تس ٢: ١٣) (٤٣). فالتقليد والكتاب كلاهما قناتان تنقلان كلام الله، الذي يستقي ملء معناه في خبرتهما، "الواحد في الآخر"، بحيث يقالان، في هذا المنظار، أنَّهما حقًّا كلام الله.

وبما أنَّ للنتائج الكثيرة تأثيرًا هامًّا على المستوى الرعائيّ، فلا مكان لوجود "**الكتاب وحده**" في ذاته ولذاته؛ فالكتاب المقدّس مرتبط بالكنيسة، أي بذاك الذي يتقبَّل التقليد والكتاب وفي الوقت عينه يفهمهما. فالكتاب المقدَّس يؤمِّن دورًا أساسيًّا للبلوغ إلى الكلمة في حقيقتها الأصليَّة، بحيث تصبح المقياس من أجل فهم التقليد فهمًا صحيحًا.

وينبغي أيضًا أن ننظر إلى التمييز بين التقليد الرسوليّ الأساسيّ، في نتائجه العمليَّة، وهو تقليد لاحق يفسِّر ويؤوَّن، وبين سائر التقاليد الكنسيَّة؛ كما ينبغي أن نقدِّر البعد الحاسم للاعتراف القانونيّ بالأسفار المقدَّسة من قبل الكنيسة التي تكفل صحَّتها (٧٣ سفرًا: ٤٦ في العهد القديم، ٢٧ في العهد الجديد) (٤٤)، تجاه تكاثر الأسفار اللاصحيحة أو المنحولة، أمس واليوم وفي كلِّ زمان.

وأخيرًا، تبقى دومًا خلفيَّة المواجهة والحوار الدقيق، الضروريّ والمشغوف، بين الكتاب والتقليد، فننظر أيضًا إلى علامات كلام الله في العالم المخلوق، ولاسيَّما مع الإنسان وتاريخه (٤٥).

ففي خطِّ التقليد الحيّ، وبالتالي كخدمة صريحة لكلام الله، يجب أن

(٣٨) المرجع ذاته، ٧.

(٣٩) المرجع ذاته، ١٠.

(٤٠) المرجع ذاته، ٩؛ رج المجمع المسكونيّ التريدنتينيّ، قرار حول **الكتب المقدّسة وقبول التقليد** : *DS* 1501.

(٤١) المرجع ذاته، ١٠.

(٤٢) المرجع ذاته، ٨.

(٤٣) المرجع ذاته، ٢١.

(٤٤) **كتاب التعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ١٢٠.

(٤٥) Cf. Joseph Ratzinger, *Une tentative sur le problème du concept de tradition*: K. Rahner - J. Ratzinger, *Révélation et tradition*, trad. de l'allemand par Henri Rochais et Jean Évrard, *Quæstiones disputatæ*, n. 7**,** Desclée de Brouwer, Paris 1972.

ننظر أيضًا إلى **شكل التعليم المسيحيّ**، منذ أوَّل قانون إيمان، نـواة كلِّ كتاب تعليم مسيحـيّ، إلى مختلف العروض على مدِّ الأجيال، والشاهد الأقرب في الكنيسة الجامعة هو **التعليم المسـيحيّ في الكنيسـة الكاثوليكيَّـة**، وفي الكنائس المحليَّة كتب التعليم المختلفة.

الكتب المقدَّسة، كلام الله الملهم

١٥. "الكتـب المقدَّسة هي كلام الله كما دُوِّنت كتابـة بإلهام الروح الإلهيّ" [٤٦]. اسمـان يصفانها بشـكل خاصّ: الكتب (المقدَّسة) والبيبليا، وهما عنوانان لهما مدلولهما في ذاتهما منذ الآن، على أنَّهما النصّ والكتاب بامتياز، مع انتشار يتجاوز حدود الكنيسة.

مبدئيًّـا، لا بـدَّ من الأخـذ في عين الاعتبـار بالنقـاط التاليـة، بالنظـر إلى تأثيرهـا العمـلانيّ في قـراءة البيبليا: في الإطـار اللاهوتيّ المرجعـيّ الذي ذُكر مـن قبل، ينقـل الكتـاب والتقليد كلام الله بشكل لا يتبـدَّل، فيردِّدان "صوت الـروح القدس" [٤٧]، وموهبة الإلهام الـذي بحسبـه يكـوِّن الـروح القدس الأسفـار البيبليَّـة علـى أنَّهـا كلام الله، ويَكِلُهـا إلى الكنيسـة، كلمـة ينبغي أن تُقبَل في طاعة الإيمـان، لوحدة القانون (أي لائحة الأسفـار القانونيَّة) كمعيار تفسـير الكتـاب المقدَّس. وحقيقـة البيبليـا يجـب أن تُفهَـم قبـل كلِّ شيء علـى أنَّهـا "الحقيقـة كمـا أراد الله أن تُستَـودَع في الكتب المقدَّسـة من أجل خلاصنـا" [٤٨]؛ والمدلول والبُعـد في هويَّة البيبليـا على أنَّها كلام الله في لغة بشريَّة، التـي بحسبها يتمُّ تفسـير البيبليا بشكل موحَّد، بتوجيه الإيمان وحسب مقاييس فلسفيَّة ولاهوتيَّة، وخصوصًا على ضوء ما دوَّنتـه اللجنة البابويَّة البيبليَّة: **تفسـير البيبليا في الكنيسة** [٤٩].

ونـدرك دومًا، واليوم أكـثر من أيِّ يوم، في شعب الله، جوعًـا وعطشًا إلى كلام الله، كما سبـق عاموس وأشار إلى ذلك (عا ٨: ١١-١٢). هي حاجة حياتيَّة لا ينبغي أن نهملها، لأنَّ الربَّ نفسه هو الذي يحرِّكهـا. ومن جهة ثانية، يجب أن نلاحـظ بحزن أنَّ هـذه الحاجة غير موجـودة في كلِّ مـكان، لأنَّ كلام الله ينتشر قليـلاً، واللقاء مع الكتب المقدَّسة لم يُسهَّل بعدُ بمـا فيه الكفاية. فينبغي أن نساعد المؤمنين علـى فهم هويَّة البيبليا، ولماذا وُجدت، وماذا تحمل إلى الإيمان، وكيف نستعملها، كلُّ هذا متطلَّبة هامَّة أجابـت عليهـا الكنيسـة دومًـا، وفي عصرنـا بشـكل خاصّ، في الفصـول الأربعة للوثيقة المجمعيّة **كلام الله** [٥٠]. وجماعاتنـا تجـد أنفسها أمـام واجب ضـروريّ بأن تعرفهـا في شكل ملائم، وأن تستعمـل روافد أخرى من السلطة التعليميَّة والبحث الكفوء.

مهمَّـة ضروريَّة ودقيقة: تفسـير كلام الله في الكنيسة

١٦. إنَّ رؤيـة المسيحيّين العديدين الذين يتفحَّصون في العمق كلام الله في الكتاب المقدَّس، في قلب الجماعات أو أفرادًا، هي بالنسبة إلى الكنيسة إمكانيَّة ثمينـة تتيح للمؤمنين بـأن يفهموه فهمًا صحيحًا ويجعلـوه ملموسًا. وهذا أمر لـه قيمتـه اليوم أكـثر من أيِّ يـوم، لأنَّ مواجهة جديـدة انفتحت بين كلام الله وعلـوم الإنسـان، ولا سيَّمـا في مجال البحث الفلسفـيّ والعلميّ والتاريخيّ. فنحـن نعـرف غنـى الحقائـق والقيـم المرتبطـة بـالله، وبالإنسـان وبالأشياء، وهو غنى يصدر عن هـذا الاتِّصال بين الكلمـة والحضارة، كما توجد مواجهة مستمرَّة حول مسائل مستجدَّة. فالعقل يحاور الإيمان الذي يتضمَّنه في مشاركة

(٤٦) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ٩؛ رج ٢٤.

(٤٧) المرجع ذاته، ٢١.

(٤٨) المرجع ذاته، ٢١.

(٤٩) اللجنة الحبريّة البيبليّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥/٤/١٩٩٣)، ف ١ ج د: *Enchiridion Vaticanum* 13, EDB, Bologna 1995, pp.1555-1733.

(٥٠) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ٣-٦.

من أجل حقيقة وحياة تتوافقان مع وحي الله وانتظار البشريّة [٥١].

ولكن هناك أيضًا **خطر** التفسير الاعتباطيّ والتحجيميّ، كما في الأصوليَّة: من جهة، هي تظهر رغبة الأمانة للنصّ، ومن جهة أخرى، تتجاهل طبيعةَ هذه النصوص نفسها، فتتعرَّض لضلالات خطيرة، وتولِّد أيضًا صراعات لا فائدة منها [٥٢]. وهناك أخطار أخرى تفرضها القراءات "الإيديولوجيَّة"، أو البشريَّة المحضة التي لا تطلب سند الإيمان (٢ بط ١: ١٩-٢٠؛ ٣: ١٦)، إلى أشكال تعارض أو فصل بين الشكل المكتوب، كما تشهد له البيبليا بشكل رئيسيّ، والشكل الحيّ للإعلان وللاختبار في حياة المؤمنين. كما يصعب القبول بمهمَّة السلطة التعليميَّة في خدمة كلام الله، بالنسبة إلى البيبليا كما إلى التقليد. ونلاحظ، في شكل عامّ، معرفة غير كافية أو غير دقيقة لقواعد الفسارة، توافق هويَّة الكلمة، ومركَّبة من قيّاسات بشريَّة وموحاة، في إطار التقليد الكنسيّ والإصغاء إلى السلطة التعليميَّة.

فعلى ضوء المجمع الفاتيكانيّ الثاني والسلطة التعليميَّة بعده [٥٣]، تبدو بعض الوجهات وكأنَّها تحتاج اليوم إلى تنبُّه وتفكير خاصَّين، لكي تُنقل بشكل مناسب إلى المستوى الرعائيّ: فالبيبليا، كتاب الله والإنسان، ينبغي أن تُقرأ في وحدة صائبة بين المعنى التاريخيّ والحرفيّ، والمعنى اللاهوتيّ والروحيّ [٥٤]. هذا يعني أنَّ النهج التاريخيّ والنقديّ ضروريّ من أجل تأويل صحيح حين تغنيه أشكال أخرى من المقاربة [٥٥]. فيجب مواجهة المسألة التفسيريَّة في الكتاب، ولكن للوصول إلى ملء مدلوله، ينبغي أن نستعمل المقاييس اللاهوتيَّة التي عرضتها أيضًا الوثيقة المجمعية **كلام الله**: "مضمون [...] ووحدة الكتاب كلِّه، مع الأخذ بعين الاعتبار التقليد الحيّ في الكنيسة كلِّها، وقياس الإيمان" [٥٦]. ونشعر اليوم بالحاجة إلى تفكير لاهوتيّ ورعائيّ معمَّق، من أجل تنشئة الجماعات على فهم الكتاب المقدَّس فهمًا صحيحًا ومثمرًا، على أنَّه كلام الله المفهوم في سرِّ الصليب وقيامة يسوع المسيح الحيّ في الكنيسة.

ويعلن البابا بنديكتُوس السادس عشر: "وبكلام آخر، همّي الكبير أن يتعلَّم اللاهوتيّون قراءة الكتاب المقدّس ومحبَّته، بحسب تعبير المجمع في الوثيقة المجمعية **كلام الله**، ليروا الوحدة الباطنيَّة التي يدعمها اليوم التأويل القانونيّ (الذي ما زال حتّى الآن في مرحلة بداية خجولو)، ثمَّ، ليقوموا بقراءتها قراءة روحيَّة، وهذا لا يقوم في شيء خارجيّ، ذات طابع تقويّ، بل في غوص داخليّ في حضور الكلمة. وهذا يبدو لي واجبًا مهمًّا جدًّا: العمل بأن يتأمَّن مع التأويل التاريخيّ والنقديّ، فيه وفي موازاته، مقدِّمة صريحة إلى الكتاب الحيّ الذي هو كلمة الله الحاضرة" [٥٧].

ينبغي، في هذا المنظار، أن نتطلَّع بانتباه إلى المشاركة التي قدَّمها **كتاب التعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وإلى مختلف الأصداء والتقاليد التي تحرّكها البيبليا في حياة شعب الله، وإلى رفد العلوم اللاهوتيَّة والإنسانيَّة.

(٥١) البابا يوحنّا بولس الثاني، **الإيمان والعقل** (١٤/٩/١٩٩٨)، ١٣-١٥: *AAS* 91 (1999) 15-18.

(٥٢) اللجنة الحبريّة البيبليّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥/٤/١٩٩٣)، ف ١ و: *Enchiridion Vaticanum* 13, Bologna 1995, pp. 1628-1634.

(٥٣) Cf. *ibidem*, chap. IV,A.B, pp. 1703-1715.

(٥٤) **كتاب التعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ١١٧.

(٥٥) اللجنة الحبريّة البيبليّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥/٤/١٩٩٣)، ف ١: *Enchiridion Vaticanum* 13, EDB, Bologna 1995, pp. 1568-1634.

(٥٦) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ١٢؛ رج **التعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ١٠٩-١١٤.

(٥٧) البابا بنديكتوس السادس عشر، **خطاب إلى أساقفة سويسرا** (٧/١١/٢٠٠٦): *L'Osservatore Romano* (10.112006) p.4.

وبجانب كلِّ هذا الالتزام، ينبغي أن لا ننسى تفسير كلام الله الذي يتمّ كلَّ مرَّة تجتمع الكنيسة للاحتفال بالأسرار المقدَّسة. في هذا المجال، المقدَّمة إلى **كتاب القراءات في القدّاس** الذي يُعلَن في الإفخارستيّا، تذكِّرنا: "بما أنَّه مُنح شعب الله الجديد، بمشيئة المسيح ذاته، تنوُّعًا عجيبًا من الأعضاء، فالوظائف والمهمّات التي تعود إلى كلِّ واحد بالنسبة إلى كلام الله، هي أيضًا متنوِّعة؛ فالمؤمنون يسمعون هذه الكلمة ويتأمَّلونها، ويقدِّمها فقط أولئك الذين نالوا، بالرسامة، مهمَّة السلطة التعليميَّة، أو الذين كُلِّفوا بهذه الخدمة عينها. فالكنيسة، في تعليمها وحياتها وشعائر عبادتها، تخلِّد وتنقل باستمرار إلى كلِّ جيل، كلَّ ما هو في ذاتها، وكلَّ ما تؤمن به: بهذه الطريقة وعلى مدِّ الأجيال، هي تَنشدّ على الدوام إلى ملء الحقيقة الإلهيَّة، إلى أن يتمّ فيها كلامُ الله" (٥٨).

العهد القديم والعهد الجديد، تدبير خلاصيّ واحد

١٧. ولا يمكن أن نكون راضين كلَّ الرضى عن المعرفة والممارسة اللتين يمتلك عن الكتب المقدَّسة عددٌ كبير من الناس. وبالنظر إلى صعوبات لم تجد لها حلاًّ، نلاحظ بعض المرّات حيرة أمام بعض الصفحات في العهد القديم التي تبدو صعبة، ومعرَّضة للتهميش، وللاختيار الاعتباطيّ، وللرفض. فبحسب إيمان الكنيسة، ينبغي أن ننظر إلى العهد القديم على أنَّه جزء من بيبليا المسيحيّين الواحدة، فيعترفون بقيمتها الثابتة، وبالعلاقة التي تربط العهدين (٥٩). تتبعُ كلَّ هذا حاجةُ إلى تنشئة ملحَّة إلى **القراءة المسيحيَّة للعهد القديم**. وتعيننا، في ذلك، ممارسة ليتورجيَّة تعلن دومًا العهد القديم على أنَّه صفحة أساسيَّة من أجل فهم العهد الجديد فهمًا كاملاً، كما يشهد يسوع نفسه على ذلك في حدث تلميذي عمّاوس حيث قيل إنَّه "بدأ بموسى فوصل إلى كلِّ الأنبياء، شارحًا ما جاء عنه في جميع الكتب المقدَّسة" (لو ٢٤: ٢). فقراءات العهد القديم الليتورجيَّة، تقدِّم أيضًا مسيرة ثمينة من أجل اللقاء العضويّ والمفصليّ مع النصّ المقدَّس. وهو يقوم، في الوقت عينه، في استعمال مزمور يدعو إلى الصلاة والتأمُّل في ما أعلن، وفي تقارب موضوعيّ بين القراءة الأولى والإنجيل، في نظرة شاملة إلى سرِّ المسيح. فبحسب القول القديم، **العهد الجديد خفيّ في القديم، والعهد القديم مكشوف في الجديد** (٦٠).

وأعلن القدّيس غريغوار الكبير: "ما وعد به العهدُ القديم، بيَّنه العهد الجديد؛ ما أُعلن في شكل محجوب، يُعلَن بوضوح وكأنَّه حاضر. وهكذا يكون العهد القديم نبوءة الجديد. وأفضل تفسير للعهد القديم نجده في الجديد" (٦١).

أمّا في ما يخصّ العهد الجديد الذي هو بالحقيقة الأقرب إلينا في ما يخصّ المعرفة البيبليَّة، وبفضل غنى **كتاب القراءات في القدّاس** وليتورجيَّة الساعات، فينبغي أن نذكِّر بالقيمة المركزيَّة للأناجيل، بحيث تُعلَن كلُّها على مدِّ ثلاث سنوات في حلقة الأعياد الليتورجيَّة، وكلّ سنة في أيّام البطالة، هذا دون أن ننسى التعليم العظيم الذي يقدِّمه بولس وسائر الرسل (٦٢).

---

(٥٨) Missale Romanum, *Ordo lectionum Missæ*: Editio typica altera, Libreria Editrice Vaticana, Città del Vaticano 1981: *Prænotanda*, n° 8.

(٥٩) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ١٥–١٦.

(٦٠) Cf. S. Augustinus, *Quæstiones in Heptateucum*, 2,73: *PL* 34,623; cf
المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ١٦.

(٦١) القدّيس غريغوريوس الكبير، **في حزقيال**، ١، ٦، ١٥: *CCL* 142,76.

(٦٢) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ١٨–١٩؛
cf. Ioannes Paulus II, *Audience générale* (22.05.1985): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (28.05.1985) n°22, p. 6.

أسئلة حول الفصل الأوَّل

١ – معرفة كلام الله في تاريخ الخلاص

أيَّ فكرة يمتلكها المؤمنون (الرعايا، الجماعات الدينيَّة، الحركات الرسوليَّة) عن الوحي، وكلام الله، والبيبليا، والتقليد، والسلطة التعليميَّة؟ هل يدركون مختلف مستويات مدلول كلام الله؟ وهل يفهمون أنَّ يسوع المسيح هو مركز كلام الله؟ ما هي العلاقة بين كلام الله والبيبليا؟ ما هي الوجهات التي لا تُفهَم كثيرًا؟ لماذا؟

٢ – كلام الله والكنيسة

بأيِّ قدر تنمِّي المقاربة إلى كلام الله الوعيَ الحيَّ بالانتماء إلى الكنيسة، جسد المسيح، وتقوم بالتعبئة من أجل الرسالة الكنسيَّة الصحيحة؟ كيف تُفهَم العلاقة بين كلام الله والكنيسة؟ والعلاقة الصحيحة بين البيبليا والتقليد، هل بقيت حاضرة في الدراسة التأويليَّة واللاهوتيَّة، وفي اللقاءات مع الكتب المقدَّسة؟ وهل تنقاد الفقاهةُ لكلام الله وتقدِّر الكتبَ المقدَّسة حقَّ قدرها؟ كيف ندرك أهمّيَّة السلطة التعليميَّة ومسؤوليَّتها في المناداة بكلام الله؟ هل هناك إصغاء إيمانيّ حقيقيّ لكلام الله؟ ما هي الوجهات الواجب توضيحها وتقويتها؟

٣ – تعليمات الكنيسة الإيمانيَّة حول كلام الله

كيف قُبلت وثيقة **كلام الله؟ والتعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة؟** ما هو دور سلطة الأساقفة التعليميَّة الخاصَّة في رسالة **كلام الله؟** ما هي مهمَّة الخدّام المرسومين، من كهنة وشمامسة، في إعلان الكلمة (**نور الأمم** ٢٥: ٢٨)؟ أيَّة علاقة يجب أن تكون بين كلام الله والحياة المكرَّسة؟ كيف يكون كلامُ الله جزءًا من تكوين كهنة المستقبل؟ إلى أيِّ توجُّهات يحتاج اليوم شعبُ الله بالنظر إلى كلام الله، وبشكل خاصّ الكهنة والشمامسة والأشخاص المكرَّسون والعوام؟

٤ – البيبليا كلام الله

ما هي الأسباب التي تجعل المسيحيّين يطلبون البيبليا اليوم؟ ماذا تحمل إلى حياة الإيمان؟ كيف يستقبلها العالم اللامسيحيّ؟ وأهل الثقافات؟ هل نستطيع الكلام عن مقاربة دومًا صحيحة إلى الكتب المقدَّسة؟ ما هي النقائص الأكثر شيوعًا؟ كيف تُفهَم موهبة الإلهام وحقيقة الكتب المقدَّسة؟ هل يُؤخَذ بعين الاعتبار المعنى الروحيّ للكتاب على أنَّه المعنى الروحيّ الأخير الذي أراده الله؟ كيف يُقبَل العهد القديم؟ إذا كانت هناك عودة أكثر فأكثر إلى الأناجيل، هل نستطيع القول إنَّ معرفتها وقراءتها كافيتان؟ ما هي اليوم الصفحات البيبليَّة التي تُعتبر أنَّها "الأصعب" بحيث يجب معالجتها؟

٥ – الإيمان بكلام الله

ما هي مواقف المؤمنين تجاه كلام الله؟ وهل يُسمَع الكلام بإيمان صار متوخِّيًا ولادة الإيمان؟ ما هي الأسباب التي تقود إلى قراءة البيبليا؟ هل يمكن أن نشير إلى مقاييس التمييز بالنسبة إلى التقبُّل المؤمن لكلام الله؟

٦ – مريم وكلام الله

لماذا مريم هي المربِّية والأمُّ في الإصغاء إلى كلام الله؟ كيف تقبَّلته وعاشته؟ كيف يمكن أن تكون مريم مثالاً للمسيحيّ الذي يصغي إلى كلام الله، ويتأمَّله، ويعيشه؟

الفصل الثاني
كلام الله في حياة الكنيسة

"كذلك تكون كلمتي، تلك التي تخرج من فمي. لا ترجع فارغة إليّ، بل تفعل ما شئتُ أن تعمله وتنجح في ما أرسلتها له" (أش ٥٥: ١١).

الكنيسة تولد وتحيا من كلام الله

١٨. تعترف الكنيسة أنّها مدعوّة وتُولَد باستمرار بفعل كلام الله؛ لذا تكون الأولى "للإصغاء بورع" [٦٣] لكي تعلن هذا الكلام بقوّة ومحبّة، وذلك بشكل متواصل، فتترك الكلمة تجتاحها وتلامسها في العمق، فتتقبّلها بإيمان متواضع وواثق، مقتدية بمريم، التي أصغت إلى الكلمة وعملت بها (لو ١: ٣٨)، لهذا جعلها الربُّ مثالاً للكنيسة.

في هذا المنظار من الالتصاق بالكلمة، تلاقي الجماعة المسيحيّة الكتابات المقدّسة. "ففي الكتب المقدّسة، يتقدّم الآب الذي في السماوات بشكل محبّ، إلى لقاء أبنائه، ويبدأ حوارًا معهم" [٦٤]. وهكذا الكتب هي في قلب الكنيسة وبين يديها بشكل "رسالة يبعث بها الله إلى البشر" [٦٥]، كتاب حياة، موضوع إجلال عميق، كما بالنسبة إلى جسد المسيح نفسه [٦٦]، وهي تكتشف فيها مخطّط الله من أجلها، من أجل عالم البشر وعالم الأشياء. لهذا "تعتبرها هي والتقليد، قاعدةَ الإيمان السامية"، فتعلنها بقوّة، واللقاء مثل "غذاء النفس، والينبوع النقيّ الذي لا ينضب للحياة الروحيّة" [٦٧].

من الكنيسة يتقبّل المسيحيّ البيبليا، ومع الكنيسة يقرأها، ويقاسم روحها وأغراضها، وهو راغب في أن يدرك الهدف الرفيع لكلّ لقاء مع الكلمة، كما علّمنا يسوع: تحقيق مشيئة الله في حياة من الإيمان، والرجاء، والمحبّة، في اتّباع المسيح (لو ٨: ١٩-٢١).

كلام الله يساند الكنيسة على مدّ تاريخها

١٩. استقاء القوّة من الكلمة هي معطية ثابتة في حياة شعب الله. منذ تكلّم النبيّ إلى شعبه، ويسوع إلى الجموع، وإلى تلاميذه، والرسل إلى الجماعة الأولى، وحتّى أيّامنا. إذًا ينبغي أن ندرس بانتباه كيف أنَّ حضور الكلمة، ولاسيّما في شهادة البيبليا، تطبع بطابعها مختلف الحقبات في العالم البيبليّ وفي تاريخ الكنيسة.

ففي زمن الآباء، كانت الكتب المقدّسة في الصدارة كينبوع يستقون منه اللاهوت والروحانيّة والحياة الرعائيّة. فالآباء معلّمون لا يُضاهَون في قراءة الكتاب قراءة "روحيّة"، وهي حين تكون صحيحة، ليست تدمير "الحرف"، أي المعنى التاريخيّ الموثوق، بل أيضًا إمكانيّة قراءة الحرف في الروح. في العصر الوسيط، شكّلت الصفحات المقدّسة أساس التفكير اللاهوتيّ؛ وإذا أرادوا مقاربته كما ينبغي، صاغوا تعليم المعاني الأربعة (الحرفيّ، والمزاجيّ، والاستعاريّ، والأرتقائيّ) [٦٨]؛ وبحسب الإرث القديم، شكّلت **القراءة الربيّة** الشكل الرهبانيّ للصلاة؛ إنّها ينبوع الإلهام في الفنّ؛ وتنتقل إلى الشعب في عدّة أشكال من الكرازة والتقوى

(٦٣) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ١.

(٦٤) المرجع ذاته، ٢١.

(٦٥) S. Gregorius Magnus, *Registrum Epistolarum* V,46, 35: *CCL* CXL, 339.

(٦٦) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ٢١.

(٦٧) المرجع ذاته.

(٦٨) **كتاب التعليم المسيحيّ في الكنيسة الكاثوليكيّة**، ١١٥-١١٩.

الشعبيّة (٦٩). وفي أيّامنا، ولادة الروح النقديّة، والتقدُّم العلميّ، والانقسام بين المسيحيّين والالتزام المسكونيّ الذي ينتج عنه، كلُّ هذا يشجّع، مع الصعوبات والمقاومات، على منهجيّة من التقارب صائبة، وفَهْم أفضل لسرّ الكتاب في قلب التقليد. واليوم، أمامنا مشروع تجديد مؤسّس على مركزيّة كلام الله الذي كان المجمع الفاتيكانيّ الثاني العامل الكبير فيه.

إضافة إلى **التعددية الجغرافية** للصيغ، علينا أن نتكلّم على التعددية الجغرافية؛ فبفضل اتصال دائم بالبيبليا بشكل خاصّ، ينتشر كلام الله، ويؤنْجِل الكنائسَ الخاصّة في القارات الخمس؛ هو يتثاقف فيها تدريجيًّا، فيصبح الروحَ المحييَ لإيمان شعوب عديدة، والعاملَ الأساسيَّ للشراكة في الكنيسة، والشهادة على غنى لِسرّه لا ينضب، والينبوع الدائم للوحي وتَحوّل الثقافات والمجتمعات.

بقوَّة الروح القدس، يلج كلامُ الله كلَّ حياة الكنيسة وينعشها

٢٠. إنَّ الروح القدس، الذي يوجّه الكنيسة إلى ملء الحقّ (يو ١٦: ١٣)، يُفهِم المعنى الحقيقيّ لكلام الله، فيقود في النهاية إلى لقاء الوحي مع الكلمة ذاته، ابن الله، يسوع الناصريّ، موحي الآب. فالروح هو حياة الكتب المقدَّسة ومفسّرها، وهذه الكتب هي كلام الله الذي كُتب بإلهامه. من هذا القبيل، ينبغي أن يُقرأ الكتاب المقدَّس "ويفسَّر بالروح ذاته الذي كتبه" (٧٠). فبقيادة الكنيسة، تسعى الكنيسة "للتوصُّل إلى معرفة للكتب المقدَّسة تتعمَّق يومًا بعد يوم" (٧١)، لكي تغذّي أبناءها، فتستعمل بشكل خاصّ دراسة الآباء القدّيسين في الشرق والغرب، والبحث التأويليّ واللاهوتيّ، كما أيضًا حياة الشهود والقدّيسين.

في هذا الإطار، ثمينٌ هو التوجيه الذي تشير إليه مقدِّمة **مقدّمة كتاب القراءات في القدّاس** حيث يُقال: "إذا أردنا أن يعطي كلام الله حقًّا في القلوب ما يتردَّد في الآذان، فعمل الروح القدس ضروريّ: فبإلهامه وبمساعدته يصبح كلامُ الله أساسَ العمل الليتورجيّ، وقاعدةَ الحياة كلِّها وسندَها. فلا يقوم عمل الروح فقط بتهيئة العمل الليتورجيّ كلِّه ومرافقته واتّباعه، بل يحرِّك في قلب كلِّ واحد (يو ١٤: ١٥-١٧، ٢٥-٢٦؛ ١٥: ٢٦-١٦: ١٥) ما يُقال في إعلان كلام الله من أجل جماعة المؤمنين كلِّهم. وإذ يقوّي وحدة الجميع، ينعش أيضًا تنوُّع المواهب، ويدفع إلى العمل بأشكال متعدِّدة" (٧٢).

فالجماعة المسيحيَّة تُبنى كلَّ يوم تاركةً كلام الله يوجِّهها بفعل الروح القدس، فتستقبل عطيَّة الاستنارة والاهتداء والعزاء التي يمنحها الروح عبر الكلمة: "فما كُتب في الماضي إنَّما كُتب لتعليمنا، بحيث إنَّ الصبر والعزاء اللذين تعطي الكتب يمنحاننا الرجاء" (رو ١٥: ٤).

فواجب الكنيسة، منذ البداية، هو مساعدة المؤمنين على فهم مدلول اللقاء مع كلام الله بقيادة الروح. كيف يتمُّ ذلك؟ بشكل خاصّ في قراءة البيبليا قراءة روحيَّة؛ في أيِّ معنى يوحِّد الروح من الداخل، البيبليا والتقليد والتعليم الرسميّ؟ أيُّ موقف يكون موقف المؤمن الذي يقوده الروح القدس الذي

(٦٩) Cf. Guigus II Prior Carthusiæ, *Scala claustralium sive tractatus de modo orandi*: *PL* 184,475-484.

(٧٠) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، ١٢.

(٧١) المرجع ذاته، ٢٣.

(٧٢) Missale Romanum, *Ordo Lectionum Missæ*, Editio typica altera: *Prænotanda*, 9.

ناله في المعموديَّة ومختلف الأسرار؟ وقد أعلن بطرس الدمشقيّ: "من اختبر المعنى الروحيّ للكتب المقدَّسة، عرف أنَّ معنى أبسط كلمة في الكتب المقدَّسة، ومعنى الكلمة الأكثر علمًا والخارقة، معنى واحد، وهو يتوخّى خلاص الإنسان" (٧٣).

الكنيسة تغتذي بالكلمة في أشكال عديدة

٢١. "[ينبغي] على كرازة الكنيسة كلِّها والديانة المسيحيَّة نفسها، أن يغذِّيهما الكتاب المقدَّس ويوجِّههما" (٧٤). وهذا التمنّي الذي تسنده الصلاة، كما يقول بولس، "لكي تُتمَّ كلمةُ الربّ جَرْيَها وتُمجَّد" (٢ تس ٣: ١)، هو في طريق التحقيق، بحسب أشكال متنوِّعة، في مختلف أوساط حياة الكنيسة وتعابيرها. وهي مسيرة تفرض التنبُّه الإيمانيّ، والتفاني الرسوليّ، والعنايات الرعائيَّة الفاهمة، والخلاّقة، والمتواصلة، في تعليم ينطلق من خبرة يتقاسمونها. فالرعاية البيبليَّة، أو بالأحرى الرعاية التي تستلهم دومًا البيبليا، هي ما يعرض اليوم على كلِّ جماعة كنسيَّة.

في هذا الإطار من الوحدة والتفاعل، يجب أن يُعترَف ملء الاعتراف بالديناميَّة التي تؤسِّس لقاءنا مع كلام الله وتسانده، وهي ديناميَّة تمثِّل قاعدة كلِّ عملٍ رعائيّ في الكنيسة: فالكلمة التي تُعلَن وتُسمع تطلب أن تكون كلمة احتفاليَّة عبر الليتورجيّا والحياة الأسراريَّة في الكنيسة، لكي تُعرَف باعثًا على الحياة بحسب الكلمة، عبر خبرة المشاركة، والمحبَّة، والرسالة (٧٥).

أ– في الليتورجيّا وفي الصلاة

"ولكي يظهر بوضوح الاتِّحاد الحميم بين الطقس والكلمة في الليتورجيّا" (٧٦)، تعلَّمت الكنيسة أن تكتشف الإله الذي يتكلَّم، وتقبله في الصلاة الشخصيَّة كما في الصلاة الجماعيَّة، ولكن بشكل خاصّ في الصلاة الليتورجيَّة. فالكتب المقدَّسة هي واقع ليتورجيّ ونبويّ: هي أكثر من سفر مكتوب، هي إعلان الروح القدس وشهادته بالنسبة إلى حدث المسيح. هذا ما أتاح انتشار معرفة الكتب المقدَّسة والحبّ لها، ولكنَّ هناك على الدوام طريقًا نتبعه لكي نحقّق روح المجمع الفاتيكانيّ الثاني ونصّه حول استعمال الكلمة في الليتورجيّا. يُفرَض مجهود من التجديد النوعيّ والكمّيّ، مع تذكير المؤمنين ببعض التعليمات التي يقترحها المجمع، والتفكير فيها معهم.

في هذا المجال، نذكر المعطية الأساسيَّة أنَّ المسيح هو "هنا حاضر في الكلمة، لأنَّه هو الذي يتكلَّم حين تُقرأ الكتب المقدَّسة في الكنيسة" (٧٧). وهكذا يكون للكتاب المقدَّس أهمِّيَّة قصوى في الاحتفال الليتورجيّ" (٧٨). هذا يقود إلى تنبُّه مميَّز لكلِّ أشكال اللقاء مع الكلمة خلال العمل الليتورجيّ: في الإفخارستيّا (يوم الأحد)، وفي الأسرار، وفي الكرازة من خلال العظة، وخلال السنة الليتورجيَّة، وفي ليتورجيَّة الساعات، وفي الرتب، وفي مختلف أشكال التقوى الشعبيَّة وفي الفقاهة الأسراريَّة.

وتعود المكانة الأولى إلى الإفخارستيّا

(٧٣) Damascenus, *Liber* II, vol. III, 159: *Filocalia*, vol. 3, Torino 1985, 253.

(٧٤) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢١.

(٧٥) مجمع الإكليروس، **دليل عام للتعليم المسيحيّ** (١٥/٨/١٩٩٧)، ٤٧: *Enchiridion Vaticanum* 16, EDB, Bologna 1999, pp. 663-665.

(٧٦) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، ٣٥.

(٧٧) المرجع ذاته، ٧.

(٧٨) المرجع ذاته، ٢٤.

على أنَّها "مائدة كلام الله ومائدة جسد المسيح" (٧٩) المرتبطتان ارتباطًا حميمًا، وبشكل خاصّ في "يوم الربّ". "إنّها الموضع المميّز حيث الشراكة تُعلَن على الدوام وتُصان" (٨٠). ونأخذ في عين الاعتبار، بالنسبة إلى الكثير من المؤمنين، بأنَّ قدّاس الأحد، الذي هو الوقت الرئيسيّ للقاء مع كلام الله، يبقى حتّى اليوم نقطة اللقاء الوحيدة مع كلام الله. انطلاقًا من هنا ينبغي أن يُولَد شغف حقيقيّ رعائيّ للاحتفال بصدق وفرح، ولعيش اللقاء مع الكلمة في إفخارستيَّة الأحد.

وفي شكل ملموس، ينبغي أن نعتني قدر الإمكان بليتورجيَّة الكلمة، في الإفخارستيّا قبل كلِّ شيء، وفي سائر الأسرار، وفي إعلان النصوص بشكل واضح ومفهوم في الكرازة الوعظيَّة التي هي صدى الكلمة الشفّاف والمشجِّع، فنساعد على تفسير أحداث الحياة والتاريخ على ضوء الإيمان، في صلاة المؤمنين التي تكون جواب مديح ونعمة، وطلبًا إلى الله الذي كلَّمنا. **وترتيب قراءات القدّاس** (٨١)، شأنه شأن الصلاة في الفرض الإلهيّ، يفترض تنبُّهًا خاصًّا جدًّا. فلا بدَّ من أن نفكِّر اليوم في طريقة جعل هذه القنوات الهامَّة لكلام الله أكثر ملاءمة على المستوى الرعائيّ، وفي متناول المؤمنين.

ب– في الأنجلة وفي الفقاهة

٢٣. "فمن كلمة الكتاب تتغذّى خدمةُ الكلمة، أي الكرازة الرعائيّة، والفقاهة، وكلّ التعاليم المسيحيّة، حيث يكون للعظة الليتورجيَّة المكانة المميَّزة، تتغذّى بشكل خلاصيّ، وتجد عزمها المقدَّس" (٨٢). وقد أكَّد يوحنّا بولس الثاني أنَّ "الأنجلة والفقاهة [...] يتَّخذان عزمًا جديدًا، ولاسيَّما وقتَ التنبُّه إلى كلام الله" (٨٣). إنَّها إحدى الثمار المنظورة في المجمع الفاتيكانيّ الثاني. وينبغي أن تتواصل الطريق، وتمتدّ وتُهَيَّأ عبر تجدُّد اليقينات وتقدمة الخدمة. فالكنيسة تعرف أنَّها ساعة تتقبَّل موهبة كلام الله ككنزها الأثمن، تأخذ على عاتقها المهمَّة الأرفع التي هي مهمَّتها: إعطاؤها من جديد للبشر جميعًا (٨٤). ويحسن بنا هنا أن نذكِّر، على سبيل المثال، ببعض وجهات خدمة الكلمة، المجملة في التبشير الأوَّل والفقاهة، على مدِّ السنة الليتورجيَّة كما في مسيرة التنشئة المسيحيَّة والتكوين المستمرّ (٨٥).

في هذا الهدف نأخذ في عين الاعتبار أشكال نقل الكلمة، والمتطلِّبات الجديدة دومًا لدى مؤمنين من أعمار وظروف روحيَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة مختلفة، بحسب ما يشير إليه **الدليل العامّ للفقاهة ودليل التعليم المسيحيّ** في مختلف الكنائس المحلِّيَّة (٨٦). في هذا السياق الخاصّ، ينبغي التنبُّه إلى نور صادق وتنقية العاطفة الدينيَّة الشعبيَّة وتقييمها بواسطة كلام الله الذي تستقي منه مرارًا. وينبغي بشكل خاصّ أن تُبرَز وساطات الكلمة الحاضرة في الكنيسة، وقد ذكرناها من قبل: كتب القراءات،

---

(٧٩) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢١.

(٨٠) البابا يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألف الثالث** (٦/١/٢٠٠١)، ٣٦: *AAS* 93 (2001) 291

(٨١) Cf. Missale Romanum, *Ordo Lectionum Missæ*, Editio typica altera, *Prænotanda*.

(٨٢) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢٤.

(٨٣) البابا يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألف الثالث** (٦/١/٢٠٠١)، ٣٩: *AAS* 93 (2001) 293.

(٨٤) Cf. CIC can. 762.

(٨٥) مجمع الإكليروس، **دليل عام للتعليم المسيحيّ** (١٥/٨/١٩٩٧)، الجزء الأول، الفصل ٢: *Enchiridion Vaticanum* 16, EDB, Bologna 1999, pp. 684-708.

(٨٦) في هذا القسم، ينبغي أن يكون حاضرًا أمام ناظرينا الانتباه الموجَّه إلى العلاقة بين الصلوات التقويّة وكلمة الله في: **توجيهات خاصّة بالتقوى الشعبية والليتورجيّا: مبادىء وتوجيهات** (٩/٤/٢٠٠٢)، مجمع الطقوس، الأرقام ٨٧–٨٩.

ليتورجيّة الساعات، التعليم المسيحيّ، الاحتفال بالكلمة، الخ.

والدور المهمّ في الأنجلة هو دور اللقاء المباشر مع الكتب المقدَّسة. إنَّه غرض أوَّل: "ينبغي أن تكون الفقاهة، في شكل ملموس، مقدِّمة أصيلة **للقراءة الربّيّة**، لقراءة الكتاب المقدَّس التي تتمُّ "بحسب الروح الساكن في الكنيسة" (٨٧)، مع مضمون مركزيّ: "ينبغي أن تتشرَّب وتتشبّع الفقاهة من الفكر والروح والمواقف البيبليّة والإنجيليّة، عبر اتِّصال متواصل مع النصوص عينها" (٨٨).

وبالنظر إلى هذه المهمَّة، وبشكل خاصّ على المستوى الثقافيّ، ينبغي أن يُقيَّم تعليم البيبليا في المدرسة، ولاسيَّما في التعليم الدينيّ. **فكتاب التعليم المسيحيّ الكنيسة الكاثوليكيَّة** الذي يلعب دورًا خاصًّا على أنَّه "أداة مقبولة ومسموح بها في خدمة الجماعة الكنسيَّة، ومثل قاعدة أكيدة من أجل تعليم الإيمان" (٨٩)، لا يعلن أبدًا أنَّه يحلُّ محلّ الفقاهة البيبليَّة، بل هو يكمِّلها في نظرة مستوفية إلى الكنيسة.

وينبغي أن يصل كلام الله إلى الجميع، بمن فيهم الأمّيون، وينبغي بشكل خاصّ أن ينعم بالإمكانات العديدة التي هي اليوم في متناول وسائل الاتِّصال. لهذا، ومن أجل خدمة كلام الله خدمة فاعلة، ينبغي تقييم **وسائل الاتِّصال الاجتماعيَّة** تقييمًا آنيًّا وخلاّقًا.

وبالنظر إلى التحوُّلات الثقافيَّة والاجتماعيَّة الهامَّة الحاصلة، من الضروريّ أن نميِّز فقاهة تساعد على شرح "الصفحات الصعبة" في البيبليا، في نظام التاريخ والعمل والمسألة الخلقيَّة، وأن نشير إلى وسائل الحلّ بعض أشكال تمثِّل الله، والرجل والمرأة، والعمل الخلقيّ بشكل خاصّ في العهد القديم.

ج– في التأويل وفي اللاهوت

٢٤. "لهذا ينبغي أن تكون دراسة الكتابات المقدَّسة روح اللاهوت المقدَّس" (٩٠). ومن الأكيد أنَّ الثمار المقطوفة في هذا المجال على التوالي من المجمع الفاتيكانيّ الثاني، تدفعنا إلى مديح الله من أجل نعمة روح الحقّ.

ومن جهة ثانية، نصب كلام الله خيمته بيننا (يو ١: ١٤)، فتأكَّد أنَّ هذا الروح عينه يدفعنا إلى التأمُّل في مسيرات جديدة يمكن تحقيقها وسط أناس عصرنا، فيدعونا إلى تقويم الانتظارات والتحدِّيات التي تطلقها البشريَّة المعاصرة على كلام الله.

ويبرز اليوم سؤال هامّ، وقد عُبِّر عنه بوضوح: التزام المؤوِّلين واللاهوتيّين في دراسة الكتب المقدّسة وشرحها **بحسب مفهوم الكنيسة**، في تفسير كلام الله وعرضه في إطار التقليد الحيّ، وعكس ذلك، في تقييم إرث الآباء، في توافق مع تعليمات السلطة التعليميَّة ومساعدتها وبصدق وفهم في المهمَّة التي هي مهمَّتها (٩١).

في هذا الإطار، يبدو مفيدًا أن ننبِّه إلى النظرة التي رسمتها الرسالة **تنشئة الكهنة** (*Optatam totius*) في عصرها بالنسبة إلى تعليم اللاهوت، وبالتالي إلى المنهجيَّة المنظَّمة لتكوين الرعاة على المستوى اللاهوتيّ. فالنظرات المرسومة هنا ما زالت تنتظر أن يتحقَّق منها الجزء الكبير. ومع ذلك، فالخطّ

(٨٧) مجمع الإكليروس، **دليل عام للتعليم المسيحيّ** (١٥/٨/١٩٩٧)، ١٢٧: *Enchiridion Vaticanum* 16, EDB, Bologna 1999, p. 794.

(٨٨) المرجع ذاته.

(٨٩) البابا يوحنّا بولس الثاني، **وديعة الإيمان** (١١/١٠/١٩٩٢)، ٤: *ASS* 86 (1994) 117

(٩٠) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ٢٤؛ لاوون الثالث عشر، عناية الله (١٨/١١/١٨٩٣)، الجزء الثاني، في الختام: *AAS* 26 (1893-94) 269-292؛ بنديكتوس الخامس عشر، **الروح البارقليط** (١٥/٩/١٩٢٠)، الجزء الثالث: *AAS* 12 (1920) 385-422.

(٩١) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ١٢؛ المجمع الفاتيكانيّ المسكونيّ الثاني، قرار مجمعيّ في نشاط الكنيسة الإرساليّ، **إلى الأمم** ٢٢.

المعروض، انطلاقًا من المواضيع البيبليّة، يقدِّم طريقًا تكفل، في مسيرة البحث والتعليم، شميلة للكهنة ولشعب الله. فالعودة إلى هذه التعليمات المجمعيّة تشكّل إغناء لكلمة الله الملموسة في النظرات التعليميّة لدى مختلف النظم اللاهوتيّة، وفي جدليّة متواصلة مع "سامع الثقافة"[٩٢].

ويُفرَض تنبُّه خاصّ إلى العلاقة بين وحي الله وفكر الإنسان المعاصر وحياته. في هذا المنظار، تُفرَض مهمّة التفكير، على ضوء كلام الله، في الاتّجاهات الأنتروبولوجيّة الحاليّة، حول العلاقة بين الإيمان والعقل "اللذين هما مثل جناحين يتيحان للفكر البشريّ أن يرتفع إلى مشاهدة الحقيقة"[٩٣]، هما وسيطان للحقيقة الواحدة الآتية من عند الله، وحول الحوار مع الديانات الكبرى من أجل تحقيق عالم أكثر عدالة وسلامًا، باسم الله.

وتنتظر الجماعة المسيحيّة من الأخصّائيّين أن يُعينُوا بغيرة، وبفضل "**موادّ موافقة**"، خدّامَ كلام الله لكي يقدّموا لشعب الله "طعام الكتب الذي ينير الفكر ويقوّي الإرادة ويحثُّ قلوب البشر على محبّة الله"[٩٤].

د- في حياة المؤمن

"من جَهِلَ الكتب المقدّسة، جَهِلَ يسوعَ المسيح"[٩٥]. "لهذا، فمن الضروريّ أن يتعلّق الإكليروس والعوام بالكتب من خلال قراءة جادّة ودراسة متقنة"[٩٦].

فمع التقدُّم الفقاهيّ، يشكّل التقدّم الروحيّ إحدى أجمل الوجهات الواعدة في جري كلام الله في شعبه. أن يلتقي المسيحيّ بالكلمة، أن يصلّيها، أن يعيشها، تلك هي دعوته السميا. "إليها يلجأ المؤمنون والجماعات في مدى واسع"[٩٧]، كما قال يوحنّا بولس الثاني. ولكن يجب أن يكثر العدد، وتوافق صفة التقارب أهداف الكلمة في اتّفاق مع خدمة الكنيسة. ولكي تكون روحانيّة الكلمة موثوقًا بها، نذكّر "بأنّه ينبغي على الصلاة أن ترافق قراءة الكتاب المقدَّس لكي يقوم حوار بين الله والإنسان، لأنّنا إلى الله نتوجّه حين نصلّي، وهو الذي يسمعنا حين نقرأ الأقوال الإلهيّة"[٩٨]. وهذا ما أثبته أوغسطين: "صلاتك هي كلمة نوجّهها إلى الله. فحين تقرأ البيبليا، الله هو الذي يكلّمك، وحين تصلّي، فأنت تكلّم الله"[٩٩]، وهذا ما يقودنا إلى الأخذ بعين الاعتبار بعض الوجهات، فنعتبرها أوّليّة أو مفضّلة.

في درجة أولى، نقارب كلام الله **بنَفْس المساكين**، باطنًا وخارجًا، وهذا ما يوافق ملء الموافقة كلمة الله، "ربّنا يسوع المسيح الذي صار لأجلكم فقيرًا، وهو الغنيّ، لكي يغنيكم بفقره" (٢ كو ٨: ٩)، هي طريقة حياة مؤسّسة على طريقة بها يسمع يسوع كلام الآب ويعلنه لنا، في تجرُّد تامّ عن الأشياء، واستعداد دائم لحمل البشارة إلى المساكين (لو ٤: ١٨). "هي مناسبة فرح أن نرى البيبليا في أيدي أناس وضعاء، مساكين، يستطيعون أن يحملوا إلى تفسيرها وتأويلها نورًا والجًا، على المستوى الروحيّ كما على مستوى علم أكيد من نفسه"[١٠٠].

(٩٢) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في تنشئة الكهنة**، ١٦؛ cf. *CIC* can. 252 et *CCEO* can. 350

(٩٣) البابا يوحنّا بولس الثاني، **الإيمان والعقل** (١٤/٩/١٩٩٨): *Proœmium*: *AAS* 91 (1999) 5

(٩٤) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢٣.

(٩٥) القدّيس إيرونيموس، **تفسير أشعيا**؛ المقدمة: Prol.: *PL* 24,17

(٩٦) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢٥.

(٩٧) البابا يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألف الثالث** (٦/١/٢٠٠١)، ٣٩: *AAS* 93 (2001) 293

(٩٨) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢٥.

(٩٩) S. Augustinus, *Enarrat. in Ps* 85,7: *CCL* 39,1177.

(١٠٠) اللجنة الحبريّة البيبليّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥/٤/١٩٩٣)، ٤، ف ٣: *Enchiridion Vaticanum* 14, EDB, Bologna 1995, p. 1725.

في درجة أولى ينبغي أن نشجِّع بحرارة ممارسة البيبليا، التي تعود إلى الأصول المسيحيَّة والتي رافقت الكنيسة على مدِّ تاريخها. يدعوها التقليد **القراءة الربيَّة**، مع مختلف مراحلها **(قراءة، وتأمُّل، ودعاء، ومشاهدة)** (١٠١). موضعُها هو في الخبرة الرهبانيَّة، واليوم يقدِّمها الروح، عبر السلطة التعليميَّة، إلى الكهنة (١٠٢)، وإلى الجماعات في الرعايا، وإلى الحركات الكنسيَّة، وإلى الأسر، وإلى الشبّان (١٠٣). وقد كتب يوحنّا بولس الثاني: "بشكل خاصّ، من الضروريّ أن يصبح الإصغاء إلى الكلمة لقاء حياة، بحسب تقليد قديم وآني على الدوام، تقليد **القراءة الربيَّة**، التي تتيح لنا أن نستقي من النصّ البيبليِّ الكلمة الحيَّة التي تكلِّم حياتنا وتوجِّهها وتكوِّنها" (١٠٤)؛ بفضل استعمال أساليب جديدة تَمَّ التفكير بها بعمق، وتوافق زمننا" (١٠٥). وبشكل خاصّ، دعا الأب الأقدس بنديكتُوس السادس عشر الشباب "إلى اقتناء إلفة مع البيبليا، بحيث تكون في متناول اليد مثل بوصلة تدلُّ على الطريق التي ينبغي اتّباعها" (١٠٦). وذكَّر الجميع بـ"قراءة مثابرة للكتاب المقدَّس، ترافقها الصلاة، فتحقِّق الحوار الحميم، حين نقرأ نصغي إلى الله الذي يتكلَّم، وحين نصلّي نتجاوب معه في انفتاح القلب الدافق" (١٠٧).

والجديد في **القراءة الربيَّة** في شعب الله يفرض تكوينًا مستنيرًا، صبورًا، متواصلاً، لدى الكهنة، والرهبان المكرَّسين، والعوام، بحيث يتحقَّق تقاسم خبرات إلهيَّة يدفع إليها الكلام المسموع (١٠٨). فكلام الله ينبغي أن يكون الينبوع الأوَّل الذي يلهم الحياة الروحيَّة في الجماعة، في مختلف ممارساتها، مثل التمارين الروحيَّة، والرياضات، والعبادات، والخبرات الدينيَّة. الغرض الهامّ (ومعيار الصدقيَّة) هو أن ينضج كلُّ واحد في اتِّجاه قراءة شخصيَّة للكلمة في نظرة فاهمة، ومن أجل تمييز مسيحيّ للواقع، وإمكانيَّة إعطاء جواب عن الرجاء (١ بط ٣: ١٥)، وشهادة قداسة. ذكَّرنا القدّيس قبريانس بفكرة تَشارَكَ فيها مع الآباء: "انكبَّ باستمرار على الصلاة و**القراءة الربيَّة**. فحين تصلّي تُكَلِّمُ الله، وحين تقرأ يكلِّمك الله" (١٠٩).

"سراج لخطاي، ونور لسبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥). فالربُّ الذي يحبُّ الحياة، يودُّ أن ينير بكلمته كلَّ حياة المؤمنين في كلِّ الظروف، ويوجِّهها ويجعلها معزّية لهم، سواء في عملهم، أو تسلياتهم، أو آلامهم، أو التزاماتهم العائليَّة والاجتماعيَّة، أو في كلِّ صوت حزين أو مفرح، بحيث يستطيع كلُّ إنسان أن يميِّز كلَّ شيء ويحتفظ بما هو حسن (١ تس ٥: ٢١)، وهكذا يتعرَّف إلى مشيئة الله ويضعها موضع العمل (مت ٧: ٢١).

(١٠١) Cf. Guigus II Prior Carthusiæ, *Scala claustralium sive tractatus de modo orandi*: *PL* 184,475-484.

(١٠٢) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في تنشئة الكهنة**، ٤؛ البابا يوحنّا بولس الثاني، **أعطيكم رعاة** (١٩٩٢/٣/٢٥)، ٤٧: *AAS* 84 (1992) 740-742.

(١٠٣) رج البابا بنديكتوس السادس عشر، **لقاء مع شبيبة روما** (٢٠٠٦/٤/٦): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (11.04.2006) nº15, p. 4
رسالة اليوم العالميّ للشبيبة (٢٠٠٦/٢/٢٢): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (28.02.2006) nº9, p. 3.

(١٠٤) البابا يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألف الثالث** (٢٠٠١/١/٦)، ٣٩: AAS 93 (2001) 293

(١٠٥) Benedictus XVI, Ad Conventum Internationalem *La Sacra Scrittura nella vita della Chiesa* (16.09.2005): *AAS* 97 (2005) 957. Traduction en français cf. *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (20.09.2005) n° 38, p. 3.

(١٠٦) البابا بنديكتوس السادس عشر، **رسالة لليوم العالميّ للشبيبة** (٢٠٠٦/٢/٢٢): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (28.02.2006) n° 9, p. 3.

(١٠٧) Benedictus XVI, Ad Conventum Internationalem *La Sacra Scrittura nella vita della Chiesa* (16.09.2005): *AAS* 97 (2005) 957. Traduction en français cf. *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (20.09.2005) n° 38, p. 3.

(١٠٨) البابا يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألف الثالث** (٢٠٠١/١/٦)، ٤٠: *AAS* 93 (2001) 294

(١٠٩) S. Cyprianus, Ad Donatum, 15: CCL IIIA, 12.

أسئلة حول الفصل الثاني

١ – كلام الله في حياة الكنيسة

أيَّـةُ أهمِّيَّة تُمنَح لـكلام الله في حياة جماعاتنـا وفي حيـاة المؤمنـين؟ كيف يصبح كلامُ الله غـذاء للمسيحيّين؟ هل هناك خطـر تحجيم المسيحيَّـة إلى ديانة الكتاب؟ كيف يُكرَّم كلام الله وأيَّة قرابة لنـا معه في حياتنـا الشخصيَّة وفي حياة المؤمنـين الجماعيَّة يـوم الأحـد؟ وأيّام البطالـة؟ وفي الأزمنة القويَّـة من السنة الليتورجيَّة؟

٢ – كلام الله في تكوين شعب الله

مـا هـي المبـادرات التـي بحسبها يُنقـل التعليـم الكامل والإجمـاليّ عن كلام الله إلى جماعاتنـا وإلى كلِّ مؤمن؟ وكهنة المستقبل والأشخاص المكرَّسون والمسؤولـون عـن الخدم في قلـب الجماعـات (معلّمو التعليـم المسيحيّ، الـخ)، هـل كُوِّنُوا مـن أجـل الإنعاش البيبلـيّ الرعائـيّ، وبشـكل مناسـب وحسـب تجـدُّد مستمـرّ؟ هـل هنـاك مشاريع مثمرة من أجل العوام؟

٣ – كلام الله، الليتورجيّا والصلاة

كيـف يقـارب المؤمنـون كلام الله في الصـلاة الليتورجيَّـة وفي حياتهـم الشخصيَّـة؟ أيَّ ربـاط يدركـون بـين ليتورجيَّـة الكلمـة والليتورجيّـا الإفخارستيَّـة؟ بين الكلمـة التي نحتفل بهـا في الإفخارستيّا وحيـاة المسيحيّين اليوميَّة؟ هـل تعكس العظـة حقًّا كلام الله؟ أيَّـة حاجـات تظهـر؟ هـل يرافق الإصغـاء إلى كلام الله سـرَّ المصالحـة؟ وهل يُحتفل بفرض الساعات على أنَّه إصغاء إلى كلام الله وحوار معه؟ هل تمتدُّ هـذه الممارسة أيضًـا إلى شعب الله؟ هل نستطيع القول إنَّ هناك إمكانيّات كافية من اتِّصال شعب الله مع البيبليا؟

٤ – كلام الله، الأنجلة والفقاهة

على ضوء المجمـع الفاتيكانيّ الثاني والسلطة التعليميَّـة في الكنيسة، ما هي الوجهـات الإيجابيَّـة والمسائـل التـي نشعر بها في علاقـة كلام الله بالفقاهة؟ كيـف يُعالَـج كلام الله في مختلـف أشـكال الفقاهـة (التنشئـة والتكويـن المستمرّ)؟ هل يحظى كلام الله المكتوب بالانتبـاه الـكافي وبالدراسـة الكافيـة في الجماعـات؟ إذا كان الجـواب نعم، كيف؟ كيـف يُنشَّأ علـى البيبليا مختلف فئات الأشخاص (الأولاد، المراهقون، الشبّان، الناضجون)؟ هل هناك دروس تقدِّم للكتب المقدَّسة؟

٥ – الكتـاب المقدَّس، التأويـل واللاهوت

هـل يشـكِّل كلام الله روح الالتزام التأويليّ واللاهوتـيّ؟ هل تُحتَرَم بشكل ملائـم طبيعـةُ الكلمـة الموحـاة؟ وهل ينعش البحث العلمـيّ ويسانـده فهمٌ مسبق للإيمـان؟ ما هي المنهجيَّـة المتَّبعة عـادة لمقاربـة النصّ؟ أي دور يلعب المُعطَـى البيبليّ في الإعـداد اللاهوتيّ؟ هل نلاحظ في الجماعة اهتمامًا بالرعوية البيبليَّة؟

٦ – كلام الله وحياة المؤمن

ما هـو تأثـير الكتـب المقدَّسة على الحيـاة الروحيَّـة في شعـب الله؟ علـى الكهنـة؟ علـى الأشخاص المكرَّسين؟ على المؤمنين العوام؟ هل نلاحظ موقف الفقر والثقة الـذي كان موقف مريم في **نشـيد التعظيـم**؟ لمـاذا يعيـق البحث عن خيور الأرض الإصغـاء إلى كلام الله؟ هل شكّل كلامُ الله في الإفخارستيّا وفي سائر الاحتفـالات الليتورجيَّة وقتًا قويًّا في نقـل الإيمـان، أو وقتًـا ضعيفًا؟ لماذا يحسُّ مسيحيّـون عديـدون بالبرودة واللامبـالاة تجـاه البيبليـا؟ هـل تمارَس **القـراءة الربّيَّـة**؟ بـأيِّ شـكل؟ مـا هـي العوامل المؤاتية لها، وتلك المعارضة؟

الفصل الثالث
كلام الله في رسالة الكنيسة

"وجاء يسوع إلى الناصرة، حيث نشأ، ودخل المجمع يوم السبت، على عادته، وقام ليقرأ. فناولوه كتاب النبيّ أشعيا. فلمّا فتح الكتاب وجد المكان الذي ورد فيه:"روح الربِّ عليَّ، لأنَّه مسحني لأبشر المساكين، وأرسلني لأنادي للأسرى بالحرِّيَّة، وللعميان بعودة البصر، لأحرِّر المظلومين، وأعلن الوقت الذي فيه يقبل الربُّ شعبه". وأغلق يسوع الكتاب وأعاده إلى الخادم وجلس. وكلُّهم في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فأخذ يقول لهم: "اليوم تمَّت هذه الكلمات التي تلوتُها على مسامعكم" (لو ٤: ١٦–٢١).

رسالة الكنيسة هي إعلانُ المسيح كلمةِ الله المتجسّد

٢٦. "أن نتغذّى من الكلمة لكي نكون "خدّام الكلمة" في رسالتنا في حمل الإنجيل، هو بالتأكيد أولويَّة بالنسبة إلى الكنيسة في بداية الألفيَّة الجديدة" [١١٠]. هذا يفترض الذهاب إلى مدرسة المعلِّم، فنلاحظ أنَّ، في قلب كلامه، إعلانَ ملكوت الله (مر ١: ١٤–١٥) عبر الأقوال والأعمال، وشهادة الحياة والتعليم. فملكوت الله، الذي ينبته كلام الله، هو ملكوت الحقّ والعدالة، والحبّ والسلام، المقدَّمُ إلى جميع البشر. وإذ تكرز الكنيسةُ بالكلمة، تشارك في بناء ملكوت الله، وتلقي الضوء على ديناميَّته، وتقدِّمه على أنَّه خلاص العالم. إعلان الملكوت ذاك هو الإنجيل الذي تكرز به إلى أقاصي الأرض (مت ٢٨: ١٩؛ مر ١٦: ١٥). ففي هذا الإعلان وفي هذا الإصغاء يتبيَّن صدقُ الإيمان.

وكلام بولس: "الويل لي إن لم أبشر" (١ كو ٩: ١٦) يرنُّ صداه اليوم بشكل خاصّ، فيصبح لجميع البشر، لا مجرَّد معلومة، بل دعوة إلى خدمة الإنجيل من أجل العالم. فكما يقول يسوع: "الحصاد كثير" (مت ٩: ٣٧) ومتنوِّع. وعديدون هم الذين لم يسمعوا الإنجيل يومًا، وبالأخصّ في القارَّتين الآسيويَّة والإفريقيَّة؛ وعديدون أيضًا هم الذين نسوا الإنجيل، ولكن عديدون أيضًا هم الذين ينتظرون هذا الإعلان.

ينبغي أن نقرّ أنَّ **الصعوبات** التي تعيق سبيل شعب الله للإصغاء إلى الربّ، لم تغب ولا هي غائبة. فلأسباب اقتصاديَّة، تتألَّم مناطق عديدة من نقص مادّيّ للنصوص المقدّسة، من ترجمته وانتشاره. ثمَّ هناك عوائق البدع التي تمنع التفسير الصائب. حَمْلُ الكلمة إذًا هو مهمَّة تتضمَّن الشعور العميق واليقينيّ "**مع الكنيسة**".

وأوَّل المتطلِّبات هي الثقة بقدرة الكلمة على تحويل قلب السامعين: "حيّة هي كلمة الله [...] تلج حتّى مفرق النفس والروح" (عب ٤: ١٢). والمتطلِّبة الثانية المفروضة والتي يمكن اليوم أن تكون موضع شعور وتصديق، هي إعلان كلام الله، والشهادة له كينبوع اهتداء وبرّ ورجاء وأخوَّة وسلام. والمتطلِّبة الثالثة هي الصراحة، والشجاعة، وروح الفقر، والتواضع، والتماسك، والقلب الكبير من قبل الذي يخدم الكلمة.

والإرشاد الرسوليّ **إعلان الإنجيل** لبولس السادس، يحتفظ بآنيَّته من أجل تربية على التبشير، بينما رسالة الأب الأقدس بنديكتوس السادس عشر **الله محبَّة**، تبرز كيف أنَّ المحبَّة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بإعلان كلام الله والاحتفال بالأسرار [١١١]. "فحين نتقبَّل كلام الله الذي هو حبّ، يلي ذلك أنَّه لا يمكن إعلان الكلمة حقًّا دون ممارسة المحبَّة، والعمل بالعدالة والإحسان. في هذا المنظار من مهمَّة كلام الله المبشِّرة، نجد في صورة إجماليَّة بعض الأغراض وبعض المهمّات التي تقوم بها والتي تُعتبَر مهمَّة في شكل خاصّ" [١١٢].

(١١٠) البابا يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألف الثالث** (٦/١/٢٠٠١)، ٤٠: *AAS* 93 (2001) 294

(١١١) البابا بنديكتوس السادس عشر، **الله محبّة** (٢٥/١٢/٢٠٠٥): *AAS* 98 (2006) 217-252

(١١٢) المرجع ذاته، ٢٠–٢٥: *AAS* 98 (2006) 233-237

كتب القدّيس أوغسطين: "يقوم ملء الشريعة وكلّ الكتب الإلهيّة وهدفها على محبّة الموضوع الذي ينبغي أن ننعم به، ومحبّة الخليقة التي ينبغي أن تنعم به معنا، لأنّه لم يكن من الضروريّ توصية الإنسان بأن يحبّ نفسه. رسمت لنا العنايةُ الإلهيَّةُ طريقةَ استعمال الأشياء في الحياة الحاضرة، لكي تعطينا معرفة شريعة الحبّ هذه والسبيل إلى تتمّتها. من أجل خلاصنا [...]، ونحن نخطئ إن اعتبرنا أنّنا نفهم الكتب المقدّسة كلّها أو بعضًا منها، إذا كانت هذه المعرفة لا تضع فينا محبّة الله ومحبّة القريب: هذا يعني أنّنا لم نفهمها ولو قليلاً" (١١٣).

على كلام الله أن يكون في متناول الجميع وفي كلِّ زمان

٢٧. تؤكّد الكنيسة حرّيّتها بإعلان كلام الله بصراحة الرسل (أع ٤: ١٣؛ ٢٨: ٣١)، وتعتبر في الوقت عينه أنّ "الاقتراب من الكتاب المقدّس، يكون مفتوحًا للمؤمنين واسعًا" (١١٤). هي متطلّبة من أجل الرسالة، بل هي اليوم أيضًا أحد مضامينه الأساسيّة؛ فبالرغم من إلحاحات عديدة، ينبغي القول بأنّ معظم المسيحيّين لا يملكون اتّصالاً فاعلاً وشخصيًّا مع الكتب المقدّسة. والذين يملكون، يعيشون في لايَقينات لاهوتيّة ومنهجيّة هامّة بالنظر إلى الاتّصال. فقد لا يكون اللقاء بالبيبليا أمرًا كنسيًّا من المشاركة، بل يعني تعريضها للذاتيّة والاعتباطيّة أو تحجيمها في موضوع عبادة خاصّة، كما أمور أخرى عديدة في الكنيسة. لهذا يصبح ضروريًّا تنمية العمل الرعائيّ، المتين والمصدَّق، للكلمة.

لهذا ينبغي اللجوء إلى مبادرات خاصّة، مثل تقدير البيبليا ملء قدرها في المشاريع الرعائيّة، مع مشروع رعائيّ بيبليّ، في الوقت عينه، في كلّ أبرشيّة، بتوجيه الأسقف؛ وهكذا نجعل البيبليا أمرًا ملموسًا في الأعمال الكبرى في الكنيسة، ونقدّم أشكالاً مناسبة من اللقاء المباشر، ولا سيّما بفضل مسيرة **القراءة الربّيّة** لأجل الشباب والراشدين. وإذ نفعل هذا يجب أن نتنبّه إلى أن تكون المشاركة بين الكهنة والعوام، وبالتالي بين الرعايا، وجماعات الحياة المكرّسة، والحركات الكنسيّة، مؤسّسةً على كلام الله، وتتجلّى فيه.

فيكون من المفيد أن تُنظَّم **خدمة خاصّة بالرسالة البيبليّة على مستوى الأبرشيّة، والمتروبوليتيَة، كما على المستوى الوطنيّ**، لتأمين نشر الممارسة البيبليّة (١١٥) بفضل موادّ موافقة، ولدفع الحركة البيبليّة بين العوام، وللاعتناء بتكوين منشّطين لمجموعات إصغاء للإنجيل، مع انتباه خاصّ إلى الشبيبة، فتقدّم لهم طرق إيمان مع كلام الله، كما أيضًا إلى المهاجرين، وإلى الذين "يبحثون" عن طريق.

ويجدر بنا أن نذكّر أنّه، منذ سنة ١٩٦٨، وُجدت **الرابطة الكتابيّة الكاثوليكيّة العالميّة**، التي أسّسها بولس السادس لتعمل في خدمة اتّجاهات المجمع الفاتيكانيّ الثاني حول **كلام الله**. وجميع المجالس الأسقفيّة تقريبًا هي أعضاء في هذه الرابطة، التي لها فروع في جميع القارّات. وهدفها هو نشر نصّ البيبليا في مختلف اللغات، وإدخال الناس الوضعاء إلى معرفة تعاليمها وعيشها، بواسطة ترجمات صالحة يمكن أن تستعمل في الليتورجيّا بفضل تنبّه رعائيّ لدى الأساقفة. ويكون واجبُ الجماعة أيضًا أن تنشر البيبليا بسعر يكون في متناول الجميع.

وتُعطى مساحة واسعة بحسب تواز عارف إلى **النهوج والأشكال اللغويّة الجديدة ووسائل الاتّصال** في نقل كلام الله، مثل الراديو، والتلفزيون، والمسرح، والسينما، والموسيقى، والأناشيد،

---

(١١٣) القدّيس أوغسطينوس، **في العقيدة المسيحيّة** ١، ٣٥، ٣٦ – ٣٩، ٤٠: PL 34,34

(١١٤) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، 22؛ *CIC* can. 825; *CCEO* can. 654 et 662 § 1

(١١٥) المرجع ذاته، الرقم ٢٥.

وصولاً إلى وسائل أخرى مثل الأقراص المدمجة والأنترنيت، الخ [١١٦].

وعلى هذا الطريق، طريق كلام الله إلى الشعب، يبقى دور خاصّ **بأصحاب الحياة المكرَّسة**. على ذلك شدَّد المجمع الفاتيكانيّ الثاني: "كلَّ يوم يكون الكتاب المقدَّس بين أيديهم ليستقوا من قراءته والتأمُّل فيه" معرفة سامية ليسوع المسيح" (فل ٣: ٨) [١١٧]، ويجدوا دفعًا مجدَّدًا للقيام بمهمَّة التربية والأنجلة، وبالأخصّ مع الفقراء والصغار وآخر القوم. ففي نظر آباء الكنيسة، ينبغي أن يصبح النصُّ البيبليّ موضوع "اجترار" يوميّ. قال القدّيس أمبروسيوس: حين يبدأ الإنسان في قراءة الكتاب الإلهيّ، يعود الله ويمشي قربه في الفردوس الأرضيّ" [١١٨]. وأكّد يوحنّا بولس الثاني: "إنَّ كلام الله هو الينبوع الأوَّل لكلِّ حياة روحيَّة؛ فهو يغذّي علاقة خاصَّة مع الإله الحيّ ومع مشيئته الخلاصيَّة والمقدِّسة. لهذا، **فالقراءة الربيَّة** كانت منذ ولادة مؤسَّسات الحياة المكرَّسة، وبخاصَّة في الحالة الرهبانيَّة، موضوع التقدير الأسمى؛ فبفضلها يدخل كلامُ الله في الحياة التي عليها يسقط نور الحكمة التي هي موهبة الروح" [١١٩].

كلام الله، نعمة مشاركة بين المسيحيّين

٢٨. وينبغي أن تُرى هذه الوجهة كأحد الأهداف الرئيسيَّة في العمل الرعائيّ في الكنيسة. فالوجهتان الأساسيّتان اللتان توجِّهان جميع المؤمنين في المسيح، يكوِّنهما كلام الله والمعموديَّة. وانطلاقًا من هذه المعطيات، تتواصل الطريق المسكونيَّة عبر تحدِّيات ينبغي أن نواجهها من أجل هذه الوحدة التامَّة، التي تكفل لقاء تامًّا مع المسيح ومع الإخوة، في عودة إلى ينابيع الكلمة المفسَّرة على ضوء التقليد الكنسيّ [١٢٠]. وخطبة يسوع الوداعيَّة في العلّيَّة تشدِّد على أنَّ هذه الوحدة تكمن في شهادة مشتركة لكلمة الآب التي أعطاها الربّ (يو ١٧: ٨).

فالإصغاء إلى كلام الله يُقدِّم بُعدًا مسكونيًّا نبقى متيقِّظين باستمرار له. ونلاحظ بملء الرضى أنَّ البيبليا هي اليوم أهمّ نقطة التقاء من أجل الصلاة والحوار بين الكنائس والجماعات الكنسيَّة. وعند تَلَقِّي تعليمات المجمع الفاتيكانيّ الثاني، نشارك في نشر النصوص المقدَّسة عبر الترجمات المسكونيَّة [١٢١]. وبعد المجمع، قدَّمت السلطة التعليميَّة إسهامات ملحوظة [١٢٢]. فالقراءة المتنبّهة لكلام الله، والتواجه مع الأوضاع الفرديَّة، يمكنهما أن يعطيا الدفع، وتعليمات واضحة من أجل التقدّم في الطريق نحو الوحدة. وأكَّد الأب الأقدس بنديكتس السادس عشر: "أن نستمع معًا إلى كلام الله، أن نمارس **القراءة الربيَّة** للبيبليا، أي القراءة المرتبطة بالصلاة، أن نترك جديد كلام الله الذي لا يعتق أبدًا ولا ينفد يجتاحنا، أن نتجاوز صَمَمنا تجاه أقوال لا تتوافق مع أفكارنا المسبقة وآرائنا، أن نسمع وندرس في مشاركة مع المؤمنين في كلِّ زمان، كلّ هذا يشكّل طريقًا نسير فيها لكي نبلغ الوحدة في الإيمان، كجواب على الإصغاء إلى الكلمة" [١٢٣].

(١١٦) مجمع الإكليروس، **دليل عام للتعليم المسيحيّ** (١٥/٨/١٩٩٧)، ١٦٠–١٦٢: *Enchiridion Vaticanum 16*, EDB, Bologna 1999, pp. 845-847

(١١٧) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، قرار مجمعيّ في تجديد الحياة الرهبانيّة وملائمتها، **المحبّة الكاملة** ٦.

(١١٨) Cf. S. Ambrosius, *Epist*. 49,3: PL 16,1154B.

(١١٩) البابا يوحنّا بولس الثاني، إرشاد رسوليّ، **في الحياة المكرّسة** (٢٥/٣/١٩٩٦)، ٩٤: *AAS* 88 (1996) 469

(١٢٠) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، قرار مجمعيّ في الحركة المسكونيّة، **استعادة الوحدة**، ٢١.

(١٢١) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، ٢٢.

(١٢٢) البابا يوحنّا بولس الثاني، **ليكونوا واحدًا** (٢٥/٥/١٩٩٥)، ٩٤: *AAS* 87 (1995) 921-982. Videas etiam: Pontificium Consilium ad Unitatem Christianorum Fovendam, *Directorium œcumenicum noviter compositum: AAS* 85 (1993) 1039-1119.

(١٢٣) البابا بنديكتوس السادس عشر، **العالم ينتظر شهادة المسيحيّين المشتركة** (٢٥/١/٢٠٠٧): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. *(30.01.2007) n°5, p. 3.*

كلام الله نـور مـن أجـل الحـوار بين الديانات

٢٩. هـو حقـلٌ إجمـاليّ، كان حاضرًا في الكنيسـة على مدِّ تاريخها، ويقـدِّم اليوم نفسه مع متطلِّبات جديدة ومهمّـات لم تُعـرَف من قبـل. فينبغي علـى البحث اللاهوتيّ أن يعمِّق الرباط الدقيق الحاضر، ويستخلص منه النتائج الرعائيَّـة. فانطلاقًـا مـن مجمـل تعليم الكنيسـة (١٢٤) يجـدر بنـا أن نذكِّـر بالنقـاط التاليـة التـي تخضـع للتفكير وللتقديـر:

أ– مع الشعب اليهوديّ

٣٠. ينبغـي أن يكـون هنـاك تنبُّـه خاصّ إلى الشعـب اليهـوديّ. فالمسيحيّـون واليهـود هم جميعًـا أبناء إبراهيم، متجـذِّرون في العهد الواحد؛ فـالله الأمين لمواعيده لم يُلغ العهد الأوَّل (رو ٩–١١)، وأكَّـد يوحنّا بولس الثاني: "هذا الشعـب يدعوه ويقـوده الربّ، خالق السماء والأرض. فوجوده ليس مجرَّد واقع طبيعيّ أو ثقافيّ، حيث ثقافة الإنسان تنشر إمكانيّات طبيعته الخاصَّة. فهـذا الشعـب استمـرَّ بالرغـم من كلِّ شـيء لأنَّه شعب العهد، ولأنَّ الربَّ هو الأمين لعهده بالرغم من خيانات البشر" (١٢٥). هم يقاسمـون القسم الأكبر من القانون البيبليّ (لائحة الأسفار)، الذي يدعـوه المسيحيّـون العهـد القديم. في هذا المجـال، هنـاك اليوم وثيقـة هامَّة مـن اللجنـة الحبريَّـة البابويَّـة عنوانها: **الشـعب اليهوديّ وكتبه المقدَّسـة في البيبليا المسـيحيَّة** (١٢٦)، التـي تدعونـا إلى التفكير في الربـاط الإيمانيّ الوثيق الذي سبـق **كلام الله** وأشار إليـه (١٢٧). وهناك وجهتـان ينبغـي الأخـذ بهمـا بشكل خاصّ: المشاركـة الأصيلـة مـع فهم اليهود للبيبليـا، وتجاوز كلِّ شكل ممكن من العداء للساميَّة أو اليهوديَّة.

ب– مع ديانات أخرى

٣١. أُرسلـت الكنيسـة لكي تحمل الإنجيـل إلى الخليقـة كلِّهـا (مـر ١٦: ١٥). لهـذا، فهـي تلاقـي عـددًا كبيرًا مـن المنضويـن إلى ديانـات أخرى، مع كتبهم المقدَّسة، وطريـق فهمهم لكلام الله؛ وهـي تتَّصـل بأشخاص يتبعـون طريقًا باحثًا، أو ينتظـرون بكلِّ بساطة "الخبر الطيِّب". فتجاههم كلِّهم تشعر الكنيسة بـأنَّ عليها دينًا بأن تحمل إليهم كلمة الخلاص (رو ١: ١٤).

وينبغي قبـل كلِّ شـيء التذكير بأنَّ المسيحيَّة ليست ديانة الكتاب، بل ديانة كلمة الله المتجسِّد في الربِّ يسوع. وإذ نواجه البيبليا مـع النصوص المقدَّسة في الديانـات الأخـرى، نتنبَّه لئـلاّ نسقط في التلفيقات، والتقاربـات السطحيَّة، أو تشويهـات الحقيقـة. وتنبُّـه أكبر هو ضـروريّ أيضًا تجـاه نقـاوة كلمة الله، المفسَّرة بشكل أصيل من قِبَل السلطات التعليمية في مواجهة البدع العديدة التي تستعمل البيبليا لغايات أخرى وبحسب مناهج غريبة عن الكنيسة.

وفي منظار إيجابـيّ، ينبغي أن نهتمَّ بمعرفة الديانات اللامسيحيَّة والثقافات الخاصّة بكل منهـا، فنميِّز بذور الكلمة الموجودة فيها. ومـن الأهمِّيَّة بمكان أن نذكِّـر أنَّ الإصغاء إلى كلام الله ينبغي أن يتجـاوز كلَّ أشكال العنف، لأنَّه يُصبح

(١٢٤) المجمع الفاتيكانيّ المسكونيّ الثاني، قرار مجمعيّ في نشاط الكنيسة الإرساليّ، **إلى الأمم** ٢٢؛ Decl. de Ecclesiæ habitudine ad Religiones non-Christianas *Nostra ætate*, 2-4; Congregatio pro Doctrina Fidei, Declaratio de Iesu Christi atque Ecclesiæ unicitate et universalitate salvifica, *Dominus Iesus* (06.08.2000), 20-22: *AAS* 92 (2000) 761-764.

(١٢٥) البابا يوحنّا بولس الثاني إلى المشاركين في لقاء الدراسة حول **"أصول العداء لليهوديّة في الوسط المسيحيّ"** (٣١/١٠/١٩٧٠): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (04.11.1997) n° 44, p.4.

(١٢٦) اللجنة الحبريّة البيبليّة، **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤/٥/٢٠٠١): *Enchiridion Vaticanum* 20, EDB, Bologna 2004, pp. 506-835.

(١٢٧) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، ١٤–١٦.

فاعلاً في القلب وفي الأعمال من أجل دفع العدالة والسلام [١٢٨].

كلام الله خميرة الثقافات المعاصرة

٣٢. إنَّ اللقاء بين كلام الله ومختلف الثقافات (نهوج فكريَّة، نظام خلقيّ، فلسفة حياة، الخ) يتمّ مرارًا تحت تأثيرات اقتصاديَّة وتكنولوجيَّة، فيستلهم اتِّجاهات دنيويَّة ويتقوّى بسند هامّ تقدِّمه وسائل الإعلام، بحيث يدعى "البيبليات العلمانيَّة". فقد صار الحوار أكثر إلحاحًا وبعض المرّات صعبًا، ولكنَّه غنيّ بالإمكانيَّة من أجل البشارة، لأنَّه غنيّ بطلب معانٍ تجد طرحًا محرِّرًا في الربّ.

هذا يعني أنَّ كلام الله يطلب الولوج في عالم متعدِّد ومعلمن، لكي يكون له خميرة في "الساحات الحديثة" (كما في أثينا، أع ١٧: ٢٢)، ساحات الفنّ والعلم والسياسة ووسائل الاتِّصال، فيحمل "قوَّة الإنجيل في قلب الثقافة والثقافات" [١٢٩] لكي ينقّيها ويرفعها ويجعل منها أدوات ملكوت الله.

من أجل هذا، ففقاهة يسوع، "الطريق والحقّ والحياة" (يو ١٤: ٦)، هي ضروريَّة، ولا تتحقَّق بشكل سطحيّ، بل مع استعداد مناسب من أجل المواجهة مع مواقف الآخرين، وهكذا تبرز بوضوح هويَّةُ السرِّ المسيحيّ وعمله الخيِّر مع كلِّ إنسان. في هذا السياق، نعتني اعتناء خاصًّا ببحث مع ما يُدعى "**تاريخ مفاعيل**" البيبليا في الحضارة وفي **الخلقيَّة** المشتركة، وهكذا تُدعى بحقّ وتقدَّر على أنَّها "الشرعة الأساسيَّة"، ولاسيَّما في الغرب.

كلام الله وتاريخ البشر

٣٣. إنَّ الكنيسة، في حجِّها نحو الربّ، واعية أيضًا أنَّ كلام الله ينبغي أن يُقرأ في الأحداث وفي علامات الأزمنة التي فيها يتجلّى الله في التاريخ. وحدَّد المجمع الفاتيكانيّ الثاني أنَّ "واجب الكنيسة، في كلِّ زمان، أن تتحرّى علامات الأزمنة وتفسِّرها على ضوء الإنجيل بحيث تجيب بشكل يناسب كلَّ جيل، عن أسئلة الناس الدائمة حول معنى الحياة الحاضرة والحياة الآتية وعلاقتهما المتقابلة" [١٣٠]. هي تغوص في تاريخ البشر، فينبغي عليها "أن تميِّز في الأحداث والمتطلِّبات والالتماسات [...] ما هي العلامات الحقيقيَّة لحضور الله أو قصده" [١٣١]، وأن تساعد البشريَّة على اللقاء بربِّ التاريخ والحياة.

وهكذا، فالكلام الذي زرعه يسوع كحبَّة الملكوت، يواصل جريه في تاريخ البشر (٢ تس ٣: ١). وحين يعود المسيح في المجد، يصدح هذا الكلام مثل نداء للمشاركة ملء المشاركة في فرح الملكوت (مت ٢٥: ٢٤). فتجيب الكنيسة على هذا الوعد الأكيد بصلاة حارَّة: ماراناتا" (١كو ١٦: ٢٢)، "تعال أيّها الربُّ يسوع " (رؤ ٢٢: ٢٠).

---

(١٢٨) رج البابا بنديكتوس السادس عشر، **رسالة اليوم العالميّ للسلام**: **"في الحقيقة السلام"** (٢٠٠٥/١٢/٨): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (13.12.2005) nº50, p. 4-5; **رسالة اليوم العالميّ للسلام**: **"الشخص البشريّ قلبُ السلام"** (٢٠٠٥/١٢/٨): *L'Osservatore Romano*, E.H.L.F. (19-26.12.2006) nº51-52, p. 2-3.

(١٢٩) Ioannes Paulus II, Adhort. Ap. *Catechesi tradendæ* (16.10.1979), 53: *AAS* 71 (1979) 1320.

(١٣٠) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور راعويّ ، **فرح ورجاء**، ٤.

(١٣١) المرجع ذاته، ١١.

أسئلة حول الفصل الثالث

١– إعلان كلام الله اليوم

انطلاقًا من الخبرة الرعائيَّة، ما الذي يساعد أو يمنع الإصغاء إلى كلام الله؟ الحاجة إلى تجديد الإيمان، بعض القلق الداخليّ أو تشجيع سائر المسيحيّين، هل تستطيع أن تساعد على هذا الإصغاء؟ فالعلمنة وتكاثر البلاغات وأساليب الحياة التي تتناوب الرؤية المسيحيَّة، هل تعيقها؟ أيَّ تحدِّيات ينبغي على البشارة بكلام الله أن تواجهها؟

٢– اقتراب واسع من الكتب المقدَّسة

قالت الوثيقة المجمعيَّة **كلام الله**، ٢٢: "ينبغي أن يكون البلوغ إلى الكتاب المقدَّس مفتوحًا واسعًا للمسيحيّ"؛ كيف يتوافق ذلك مع الوقائع؟ هل هناك إحصاءات، ولو تقريبيَّة، في هذا الموضوع؟ هل نلاحظ زيادة في الإصغاء الشخصيّ والجماعيّ إلى البيبليا؟

٣– نشر كلام الله

كيف تنتظم الرسالة البيبليَّة في جماعة الأبرشيَّة؟ هل هناك برنامج أبرشيّ؟ هل هناك منشِّطون مهيَّأون؟ هل الرابطة الكتابيَّة الكاثوليكيَّة معروفة؟ أيُّ أشكال لقاء مع كلام الله تُعرَض (فِرَق بيبليَّة أو فِرَق إصغاء، دروس بيبليَّة، يوم بيبليّ، **قراءة ربِّيَّة**)، وأيُّها يمارس المسيحيّون بتواتر؟ هل هناك ترجمات كاملة أو جزئيَّة للبيبليا؟ هل للبيبليا اعتبارُها في الأُسَر؟ هل هناك طرق بيبليَّة معروفة على مختلف الأعمار (الأولاد، المراهقون، الشبّان، الراشدون)؟ كيف تستعمل وسائل الاتِّصالات الاجتماعيَّة؟ أيُّ العناصر تبدو بارزة؟

٤– كلام الله في الحوار المسكونيّ

إنَّ إعلان كلام الله في العالم المعاصر يتطلَّب شهادة ملتصقة بالحياة. هل يمكن أن نتعرَّف إليه لدى المسيحيّين اليوم؟ كيف يمكن أن ننمِّيَه؟ في الحوار المسكونيّ، كيف تتقبَّل الكنائس الخاصَّة المضامين الرئيسيَّة في **الدستور العقائديّ كلام الله**؟ هل هناك تبادل مسكونيّ بين الكنائس الأُخَيّات بالنسبة إلى الكتب المقدَّسة؟ أيُّ دور تَنسَب هذه الكنائس إلى كلام الله؟ في أيِّ شكل يتمُّ اللقاء مع هذا الكلام؟ هل المشاركة ممكنة مع **جمعيّات الكتاب المقدَّس**؟ هل استعمال البيبليا يسبِّب الصراعات؟

٥– كلام الله في الحوار مع الشعب اليهوديّ

هل يتَّخذ الحوار مع العالم اليهوديّ الأفضليَّة؟ أيّ أشكال حوار حول البيبليا هي مستحبّة؟ هل يؤخذ النصُّ البيبليّ أداة من أجل تكوين مواقف تعادي السامية؟

٦– كلام الله في الحوار بين الديانات وبين الثقافات

هل هناك خبرات حوار مؤسَّسة على الكتاب المقدَّس المسيحيّ مع الذين لهم كتابهم الخاصّ؟ كيف يلتقي مع كلام الله أولئك الذين لا يؤمنون بإلهام الكتب المقدَّسة؟ هل هناك أيضًا كلمة الله للذين لا يؤمنون بالله؟ هل هناك تقرّب من البيبليا بصفتها "شرعة أساسيَّة" تحمل غنًى كونيًّا كبيرًا؟ هل هناك خبرات حوار بين الثقافات، عائدة إلى البيبليا؟ ما هي الإجراءات المتَّخذة لمساندة الجماعة المسيحيَّة في وجه البدع؟

الخاتمة

"لتحلَّ في قلوبكم كلمة المسيح بكلِّ غناها، لتعلِّموا وتنبِّهوا بعضكم بعضًا بكلِّ حكمة. رتِّلوا المزامير والأناشيد الروحيَّة شاكرين لله من أعماق قلوبكم. مهما يكن لكم من قول أو فعل، فليكن باسم الربِّ يسوع، حامدين به الله الآب" (كو ٣: ١٦-١٧).

الإصغاء إلى كلام الله: حياة المؤمن

٣٤. هناك عنصر أساسيّ للقاء الإنسان بالله، هو الإصغاء الدينيّ إلى الكلمة. فالحياة نعيشها بحسب الروح بنسبة إمكانيَّة إعطاء مكانة للكلمة، وإيلاد كلام الله في قلب الإنسان. فليس الإنسان من يقدر أن يلج كلام الله، بل كلام الله هو من يجتاحه ويهديه، ويجعله يكتشف غناه وأسراره، ويفتح له آفاقًا من المدلولات، وطروح حرِّيَّة، وملءَ النضوج البشريّ (أف ٤: ١٣). إنَّ معرفة الكتب المقدَّسة هي عمل موهبة كنسيَّة جُعلت بين يدي المؤمنين المنفتحين على الروح.

في نظر القدّيس مكسيم المعترف: "إنْ تفوَّهنا بأقوال الله في شكل بسيط، فلا تُسمَع، لأنَّها لا تنعكس في ممارسة الذين يتفوَّهون بها؛ أمّا إذا تفوَّهنا بها ساعة نمارس الوصايا، فلها السلطة مع هذا الصوت، بأن تزيل الأبالسة، وتدفع البشر إلى بناء الزمن الإلهيّ للقلب بفضل النموّ في أعمال البرّ"[(١٣٢)]. فينبغي أن نستسلم إلى التسبيح الصامت للقلب في مناخ من البساطة والصلاة العابدة، مثل مريم، عذراء الإصغاء، لأنَّ جميع أقوال الله تتلخَّص في الحبّ وتُعاش فيه (تث ٦: ٥؛ يو ١٣: ٣٤-٣٥). وإذ يصبح المؤمن "تلميذًا"، يستطيع أن يلج "كلمة الله الحسنة" (عب ٦: ٥)، فيحياها في الجماعة الكنسيَّة، ويعلنها للقريبين وللبعيدين، مؤوِّنًا نداء يسوع، الكلمة المتجسِّد: "اقترب ملكوت الله؛ توبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥).

حاضرة الفاتيكان ٢٠٠٧
الأمانة العامّة لسينودس الأساقفة

* * *

الفهرس

توطئة

مقدِّمة لماذا سينودس حول كلام الله؟

أسئلة

الفصل الأوَّل: الوحي، كلام الله، الكنيسة

المبادرة تأتي من عند الله، ويتجلّى الوحي على أنَّه كلام الله

الإنسان يحتاج إلى الوحي

كلام الله يتداخل مع تاريخ الإنسان ويوجِّه طريقه

يسوع المسيح هو كلمة الله المتجسِّد وملء الوحي

كلمة الله تشبه سمفونيَّة

(١٣٢) S. Maximus Confessor, *Capitum theologicorum et œconomicorum duæ centuriæ* IV, 39: MG 90, 1084.

إيمان الإنسان يتوافق مع كلام الله
مريم هي مثال المؤمن في تقبُّل الكلمة
كلام الله المسلَّم إلى الكنيسة، ينتقل إلى جميع الأجيال
التقليد والكتاب هما في الكنيسة المستودع المقدَّس لكلام الله
الكتاب المقدَّس هو كلام الله الموحى
مهمَّة ضروريّة ودقيقة، تفسير كلام الله في الكنيسة
العهد القديم والعهد الجديد هما تدبير خلاصيّ وحيد

أسئلة

الفصل الثاني: كلام الله في حياة الكنيسة

الكنيسة تولَد من كلام الله وتحيا به
كلام الله يساند الكنيسة على مدِّ تاريخها
بقوَّة الروح القدس، يلج كلام الله كلَّ حياة الكنيسة وينعشها
الكنيسة تغتذي من كلام الله بطرق مختلفة
أ – في الليتورجيّا وفي الصلاة
ب – في الأنجلة وفي الفقاهة
ج – في التأويل وفي اللاهوت
د – في حياة المؤمن

أسئلة

الفصل الثالث: كلام الله في رسالة الكنيسة

تقوم رسالة الكنيسة في إعلان المسيح كلمة الله الذي صار بشرًا
كلام الله يكون في متناول الجميع وفي كلِّ زمان
كلام الله هو نعمة المشاركة بين المسيحيّين
كلام الله نور في الحوار بين الديانات
أ – مع الشعب اليهوديّ
ب – مع سائر الديانات
كلام الله ضمير الحضارات المعاصرة
كلام الله وتاريخ البشر

أسئلة

خـــاتمة

مصطلحات

(عربي - فرنسي)

– أصوليّة	- Fondamentalisme
– إعلان	- Annonce
– إلهام	- Inspiration
– أَنْجَل	- Evangéliser
– أَنْجَلة	- Evangélisation
– بحث تأويليّ	- Recherche exégétique
– بحث لاهوتيّ	- Recherche théologique
– بَيْشَخصيَّة	- Interpersonnelle
– تَأْويل	- Exégèse
– تَأْويل تاريخيّ	- Exégèse historique
– تَأْويل قانونيّ	- Exégèse canonique
– تَأْويل نقديّ	- Exégèse critique
– تَثاقَفَ	- Inculturer (s')
تفسير اعتباطيّ	- Interprétation
– تفسير تحجيميّ	- Interprétation réductrice
– تفسيريّ	- Interprétatif
– دراسة تأويليّة	- Etude exégétique
– كتاب القراءات في القدّاس/ ريش قريان	- Lectionnaire
– شكل حيّ	- Forme vivante
– شكل مكتوب	- Forme écrite
– ضلالة	- Erreur
– عَوَام	- Laïcs

– فسارَة	- Herméneutique
– فساريَّة	- Herméneutique
– فُقاهة أسراريَّة	- Catéchèse mystagogique
– فُقاهي	- Catéchètique
– فُقاهيَّة	- Catéchisme
– قراءة إيديولوجيَّة	- Lecture idéologique
– قراءة بشريَّة	- Lecture humaine
– قراءة ربيَّة	- Lectio divina
– كاريسما	- Charisme
– استعارة	- Trope
– مُثاقَفة	- Inculturation
– مدلول	- Signification
– مشكليّة	- Problématique
– معنى استعاريّ	- Sens tropologique
– معنى مجازيّ	- Sens allégorique
– معنى تاريخيّ	- Sens historique
– معنى ارتقائيّ (صعود من المعنى الحرفيّ إلى المعنى الروحيّ)	- Sens analogique
– معنى حرفيّ	- Sens littéral
– معنى روحيّ	- Sens spirituel
– معنى لاهوتيّ	- Sens théologique
– نهج تاريخيّ	- Méthode historique
– نهج نقديّ	- Méthode critique

كلمة الله
عند شعب العهد القديم
وفي العصر المسيحيّ الباكر

القَسّ عيسى دياب[(١)]

مقدّمة

كان لكلمة الله حضور وتأثير ومفعول في الشرق الأدنى القديم، أو في التراث الإسرائيليّ الشفويّ، حتّى قبل إنتاج الكلمة المكتوبة. نعني بهذا بأنّ مفهوم "الكلمة" كفعل مجرّد سبق صورة "الكلمة" كمادّة مكتوبة، بل أتجرّأ وأقول بأنّ الكلمة المكتوبة، عندما حضرت بصورتها المادّيّة، قلّصت قيمة "الكلمة المجرّدة لأنّها حدّدتها في إطار مادّيّ انحبس الفكر البشريّ فيه مع الوقت.

إنّي، وعن اقتناع، أعزو السبب الرئيس لكلّ "أصوليّة" بالتضحية بفضاء الكلمة المجرّدة اللامحدود لحساب الكلمة المكتوبة ذات الأفق الضيّق. إنّ هذا يصحّ على المسيحيّة مثلما يصحّ على غيرها من الديانات، وخاصّة اليهوديّة والإسلام. نحن أبناء الشرق، أبناء الفكر الساميّ الطقوسيّ والأسراريّ والشاعريّ، المعبر بلا حدود؛ إنّك لتفهمه ولا تستوعبه لأنّك لا تدرك أعماقه كلّها.

أوّلاً: «كلمة الله وأبعادها عند شعب العهد القديم»

الكلمة العبريّة المرادفة لـ"كلمة" هي "د ب ر". إنّ أصل هذه الكلمة والصورة التي اشتقّت منها غير واضح في تاريخ الشرق الأدنى القديم، لكنّها كانت دائمًا تعبيرًا تصويريًّا عن فكرة، أو مفهوم أو حقيقة أو شيء أو فعل؛ فمنذ البداية، كان للكلمة العبريّة "د ب ر" بُعد عقليّ وفكريّ، وبُعد ديناميّ، هي صورة فكريّة أو تصوير كلاميّ لشيء مادّيّ، وقوّة. لذلك، ترجمت الكلمة العبريّة أحيانًا إلى "شيء"، "أمر" أو "عمل". وعندما ترجمت إلى "كلمة"، انشدّت الأبصار الذهنيّة إلى الشيء أو الأمر أو العمل الكامن وراء الكلمة. إنّ أوضح مثال على ما أقول هو ما جاء في مز ٣٥: ٢٠: "لأنّهم لا يتكلّمون بالسلام، وعلى الهادئين في الأرض يتفكّرون بكلام مكر". وبحسب هذه الآية، تنشدّ الأبصار إلى السلام الذي لا يحضر في كلامهم، وإلى المكر الذي يحضر في أفكارهم وكلامهم.

١. الكلمة وسيلة إعلان الله وحضوره وعمله

الكلمة هي الوسيلة الأعلى والأسمى التي أعلن الله بها نفسه وإرادته الصالحة للبشر. هذا يعني أنّ الديانة الكتابيّة هي ديانة سَمَع قبل أن تكون ديانة نَظَر. من هنا نفهم مدى أهمّيّة «الأذن» في الكتاب المقدّس ولعلّ العبارة المشهورة، «من له أذن للسمع فليسمع»، التي تتردّد في الكتاب المقدّس، تعكس لنا هذه الأهمّيّة. هذا لا يعني أنّ ديانة الكتاب المقدّس بجوهرها هي ديانة كلاميّة، كالإسلام مثلاً، أو ديانة مجرّدة كمنظومة فلسفيّة، بل أنّ كلمة الله، متميّزة عن كلام البشر،

(١) من الكنيسة الإنجيليّة الوطنيّة. دكتوراه في اللاهوت. دكتوراه في تاريخ ديانات الشرق الأدنى القديمة. دكتوراه في ثقافات ومجتمعات العالم العربيّ والإسلاميّ. أستاذ الدراسات الكتابيّة والحضارات الساميّة.

تمدّ مفعولها على مدى الشخص الذي يقولها، والفعل الذي تشير إليه، والزمن الذي تحضر فيه. لذلك، فأنسب نعت توصف به هو «الحقيقة» (رج ٢ صم ٧: ٢٨؛ يو ١٧: ١١). والحقيقة هنا ليست تجريدًا، بل تعني الحقيقة العمليّة التي هي الإخلاص والأمانة والمحبّة العمليّة.

يجرّنا هذا إلى القول بأنّ الله، عندما أعلن عن نفسه بالكلمة للبشر، أعلن لا عن منظومة فلسفيّة، ولا عن صور ميثولوجيّة، ولا عن قوى طبيعيّة مؤلَّهة، بل عن فعل محبّة إلهيّة. لقد كان الله حاضرًا وعاملاً وسط شعبه. إنّ للكلمة «الإعلانيّة» إذًا عملاً وقوّةً و«ديناميّة».

«يهوه» إله خفيّ في الكتاب المقدس (خر ٣٣: ٢٠)، لا تجسيم له ولا شكل بمفهومنا للتجسيم وللشكل. وليس يهوه «قوّة» أو «مبدأ»، كما في بعض النظريات اللاهوتيّة المتحرّرة. «يهوه» هو كيان شخصيّ أو شخصانيّ، له وعيه وحضوره وعمله في الكون وفي وسط شعبه. من بين الأمور الكثيرة التي يتوسّطها الله في حضوره هي «الكلمة» التي هي أيضًا الفعل. يقودنا هذا إلى القول بأنّ الله حاضر في وسط شعبه بكلمته أو بعمله. إنّ العهد القديم بكامله هو قصّة، لكن ليست مثل باقي القصص المسلّية، هي قصّة حضور الله وعمله في وسط شعبه. كان الله حاضرًا في الأحداث التاريخيّة التي كان شعبه يمرّ فيها. بالنسبة إلى المؤرّخ العاديّ، هذا مجرّد تاريخ دنيويّ. لكن بالنسبة إلى النبيّ، وللتقيّ، وللصدّيق، هذا تاريخ عمل الله في وسط شعبه. لذلك سمّي العهد القديم، بل والكتاب المقدّس، بحقّ «تاريخ الخلاص». في هذا كلّه، تتماهى كلمة الله بعمل الله لأنّه يقول فيصير، ويأمر فيكون. إنّ قولنا كلمة الله «تاريخيّة» ليس بمعنى بأنّها تخطّ التاريخ، أو تصوّر التاريخ بكلام، بل بمعنى أنّ الله يصنع بها التاريخ، بل وتصبح هي الأحداث التاريخيّة. والحدث التاريخيّ ما هي إلاّ «كلمة» من الله مرسلة إلى شعبه.

الآن يمكننا أن نتطرّق إلى مفهوم «الخلق بالكلمة» في الكتاب المقدّس، هذا المفهوم الساحق القدم في تاريخ الشرق الأدنى والمتوفّر بكثرة في الأناشيد الشرقيّة التي انتقلت إلى سفر المزامير في الكتاب المقدس (رج مز ٣٣: ٤ي)، وأخذ به بعض الأنبياء (أش ٤٠: ٢٦). يجب أن نبتعد عن كلّ الصور الميثولوجيّة المتوفّرة بكثرة في التفاسير الإسلاميّة –أي بمجرّد أن ينطق الله بالكلمة يتكوّن الشيء– عند فهمنا للخلق بالكلمة. فبما أنّ الكلمة لا تتوقّف على فعل الكلام، بل تتعدّاه إلى العمل، يكون الخلق عمل الله بواسطة القوانين الطبيعيّة التي هي أيضًا نتيجة عمل الله الخلاّق.

٢. الكلمة وسيلة شهادة

إن كانت «الكلمة» هي وعاء الإعلان الإلهيّ، وحضوره الفاعل في وسط شعبه، فإنّها بالمقابل هي أيضًا الشهادة التي يؤدّيها المؤمن في حضرة الله عند عبادته.

صيغ إيمان إسرائيل، ليس بشكل تصاريح عقائديّة، كما نفعل نحن اليوم، بل بشكل قصّة أو رواية، وما قوانين الإيمان التي استعملها إسرائيل في عبادته إلاّ قصص مختصرة عن الرواية الكبيرة: «كنت عبدًا، فاختارني الربّ لنفسه، فدعاني وحرّرني، وعمل معي العهد وأرسلني». اعتاد شعب إسرائيل أن يعترف بإيمانه بسرد قصّة تحريره. بكلام آخر، قانون الإيمان في إسرائيل هو قصّة تحريره ومنحه الأرض والنسل (رج خر ١٢: ٢٦–٢٧؛ ١٣: ٨، ١٤؛ يش ٢٤، تث ٢٦؛ إلخ). من خصائص التربية والتعليم عند الساميّين القدماء هو «التعليم بالقصّة». هذه وسيلة اتبعها الربّ يسوع المسيح في تعليمه. والعهد القديم تعليم دينيّ بواسطة قصص، في أكثر الأحيان، متسلسلة ومجموعة في قصّة واحدة طويلة. لذلك، فقد شهد إسرائيل عن إيمانه (اعترف به) بواسطة سيرته الذاتيّة (قصّة حياته).

إنّ هذه الكلمة الشهاديّة ما هي إلاّ الكلمة التي كلّم بها الله إسرائيل عبر تاريخه. فإسرائيل، بالشهادة أيضًا، يستحضر ليس كلمته، بل كلمة الله، إيمانًا منه بأنّ هذه الكلمة التي فعلت عندما قالها الله، ستفعل أيضًا عندما يقولها هو في محضر الله، لأنّ «كلمة الله» حيّة وفاعلة في كلّ الظروف.

٣. «كلام الله» في الكرازة النبويّة

بما أنّ «الكلمة» كانت بمثابة الواسطة لإعلان الله وحضوره وعمله في وسط شعبه، ابتداء من القرن التاسع ق.م.، استحوذ النبيّ بهذه الواسطة، فصار النبيّ هو المتكلّم الرسميّ للبلاط السماويّ. أصبح النبيّ هو المعبّر عن فكر الله، عندما كانت تأتيه كلمة الله وهو بدوره ينقلها إلى الشعب. في الحقبة النبويّة أصبح إبراهيم نبيًّا (تك ٢٠: ٧)، وكذلك موسى (خر ٣: ٤؛ تث ١٨: ١٥)، وهرون (خر ٤: ١٤-١٦)، وهنا تفوّقت النبوة على الكهانة (رج إر ١٨: ١٨).

لقد جاءت كلمة الله إلى الناس، في الحقبة النبويّة، بصور عديدة: الكلام العقلانيّ الذي كان غالبًا ما يأخذ شكل الوعظ أو شرح العقيدة؛ ثمّ الرؤى والصور التي كان الأنبياء يستعينون بها لعرض كلمة الله. نستطيع أن نتكلّم هنا باستفاضة، لو كان يسمح لنا الوقت، عن علاقة «الكلمة» بالليتورجيّا. في الخطاب النبويّ صارت كلمة الله لا تسمع فقط، بل تُشاهد أيضًا، فأضيفت إلى السمع مَلَكة النظر في التعامل مع كلمة الله.

٤. كلام الله في الشريعة

في مفهوم العهد، كانت الشريعة تعبيرًا عن إرادة الله لشعبه، فهي بهذا تتماهى مع الإعلان بالكلمة. دعيت «الوصايا العشر» «الكلمات العشر» (خر ٣٤: ٢٨)، ذلك لأنّ الوصيّة تعبّر عن إرادة الله تمامًا مثل الكلمة. وعندنا مز ١١٩ الطويل خير شاهد على تماهي الكلمة والشريعة.

ذهب بعضهم إلى وجود إشكاليّة بين الشريعة الأنبياء، وهذا ليس صحيحًا، لأنّ كلي الطرفين يمثّلان الكلمة. ما هو صحيح هو أنّه كان لأنبياء الصحوة في القرن الثامن ق. م.، وعلى رأسهم عاموس وهوشع، مأخذ ليس على الشريعة أو النظام الذبائحيّ، بل على كيفيّة تطبيق الشريعة. فالشريعة شكل ومضمون؛ الشكل هو ليتورجيّ، والمضمون خُلُقيّ. ويجب أن يحرص العابد على كلا العنصرين. لقد كانت مشكلة يسوع مع الفرّيسيّين هي نفسها مشكلة عاموس وهوشع وغيرهما، وهي أنّ الفرّيسيّين حافظوا بتدقيق كبير على شكل الشريعة دون مضمونها الخُلُقيّ، وعلى هذا اعترض لديهم.

ثانيًا: تطوّر مفهوم "كلمة الله" في حقبة ما بين العهدين

هناك تطوّر سلبيّ وآخر إيجابيّ. الأوّل بانت بذوره في عصر عزرا ونحميا، والآخر عودة إلى المفهوم الأصيل الذي تفتّح بفعل اختلاط اليهود بالحضارة الفارسيّة، ولكن خاصّة الحضارة اليونانيّة.

أخذت التوراة (الشريعة) أهمّيّة خاصّة وبُعْدًا لاهوتيًّا بفضل جهود عزرا. وقد صارت التوراة جزءًا من الهوّيّة الإسرائيليّة الجديدة أو اليهوديّة. كان عزرا كاتبًا وكاهنًا، و"قد هيّأ قلبه لطلب شريعة الربّ والعمل بها، وليُعلِّم إسرائيل فريضة وقضاء" (عز ٧: ١٠). يقدّمه لنا سفر عزرا–نحميا كـ"موسى الجديد"، نسبة إلى موسى "القديم" الذي أعطى إسرائيل توراته بحسب التقليد. قبل عزرا، كان منصب الكاتب منصبًا سياسيًّا رفيعًا بامتياز (٢ مل ٨١: ٨١؛ ٢ مل ٢٢: ٣وت؛ أش ٣٦: ٣؛ رج ٢٢: ٥١؛ إر ٦٣: ٢١). أمّا في أيّام عزرا، عندما أصبحت التوراة "نقطة الارتكاز" في هوّيّة "إسرائيل الجديد"، صارت وظيفة "كاتب" وظيفةً مقدّسة، وتعني "المتخصّص بتفسير التوراة". وصار الكاتب قائدًا روحيًّا في إسرائيل. وهكذا نرى في مشهد قراءة التوراة أنّ عزرا الكاتب هو من يتصدّر المحفل، بينما الكهنة واللاويّون يساعدونه (نح ٨). صارت التوراة مرجعًا للقضاء الدينيّ والمدنيّ في إسرائيل؛ فهي "شريعة إله السماء" وعزرا كاتبها (عز ٧: ١٢). ويوصي ملك فارس عزرا قائلاً: "أمّا أنت، يا عزرا، فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حكّامًا وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع مَن يعرف شرائع إلهك، والذين لا يعرفون فعلّموهم. وكلّ مَن لا يعمل شريعة إلهك وشريعة الملك، فليُقضَ عليه عاجلاً، إمّا بالموت، أو بالنفي، أو

بغرامة المال، أو بالحبس" (عز ٧: ٢٥-٢٦). نحن هنا أمام تشريع دينيّ ومدنيّ (دين ودولة)، إنّها ثيوقراطيّة بامتياز. ويعزّز هذا الاعتقاد الدور الذي لعبه نحميا الذي اهتمّ ببناء الحياة المدنيّة والاقتصاديّة لإسرائيل الجديد، لكن لم يكتمل "العقد" إلا بجلب عزرا لإنماء الحياة الدينيّة. وهذا المفهوم في الحكم ليس غريبًا عن الشرق الأدنى، وربّما الإسلام اليوم هو أوضح صورة عنه.

جمع عزرا بين وظيفتَي الكاتب والكاهن، بينما كان كهنة ما قبل السبي لا يتعاطون بقراءة وتفسير الشريعة، وكان هذا من مهمّات الأنبياء. وأهمّيّة "التوراة"، وكذلك أهمّيّة الكاتب، ستتضخّم في الزمن اللاحق للسبي لنصل إلى زمن المسيح حين كانت التوراة "مقدّسة"، والكاتب من أهمّ القادة. إنّ هذا التقديس للتوراة، الذي يظهر بوضوح في الكتابات المنحولة لما بين العهدين، دفع ببعض التيّارات اليهوديّة إلى الكلام عن "تنزيل" التوراة، الشبيه جدًّا بمفهوم "تنزيل القرآن" في الديانة الإسلاميّة. وهناك جهات يهوديّة في زمن ما بين العهدين، أو زمن المسيح أو حتّى في وقتنا الحاضر، "تقدّس" مخارج الألفاظ في التوراة، وتعتبر النصّ التوراتيّ المترجم غير مقدّس.

لكن كان للسبعينيّة فعلها الفاعل في ردّ مفهوم "كلمة الله" إلى سابق عهده. لقد ساهمت السبعينيّة في هذا العمل بطريقتين: الأولى بترجمتها الأسفار المقدّسة "بتصرّف" في كثير من المواقع، والثانية بالتصاق "الكلمة" بمفهوم "اللوغوس" في الفكر الهيلّينيّ.

إنّ ما دفع اليهود إلى عقد مجمع يَمْنِيا وتحديد الأسفار القانونيّة هو أنّ المَسيحيّين اتّخذوا السبعينيّة بمثابة كتاب مقدّس لهم، ولم يكن يهود فلسطين يرتاحون لها، إن كان لجهة عدد الأسفار التي تتضمّنها أو لجهّة الترجمة بتصرّف.

ولا يخفى على قارئ العهد الجديد بأنّه كان يوجد تيّاران حيال "الكلمة" في المسيحيّة الباكرة: تيّار متمثّل بالتقليد المتّاوي المتأثّر باليهوديّة الفرّيسيّة الذي كان يشدّد على "الحرفيّة"، فيحاول أن يستفيد من مخارج الألفاظ في النصّ العبريّ ليُري تحقّقها الحرفيّ؛ فهو القائل: "إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتّى يكون الكلّ؛ فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت الله" (مت ٥: ١٨-١٩). أمّا التيّار الثاني فهو التيّار اليوحنّاويّ المتأثّر باليهوديّة الهلّينيّة الذي رأى أنّ الإعلان الإلهيّ ما هو إلا "اللوغوس" الأزليّ. ويتبنّى هذه الفكرة كاتب الرسالة إلى العبرانيّين (عب ١: ١-٢).

لقد ظهر هذا التوتّر بين الكلمة بحدودها الحرفيّة والكلمة الحيّ التي لا يستطيع القارئ أن يسبر أغوارها في تاريخ الكنيسة وخاصّة في عصر الإصلاح. اتهم كثيرون لوثر بالحرفيّة، ويتسلّح به أتباع الأصوليّة البروتستانتيّة المعاصرة. برأينا يجب أن يُفهم لوثر في عصره على أنّه ردّة فعل على الليتورجيّا المبهمة للعابد العاديّ، وندرة وجود الكتاب المقدّس واستعماله. إنّ التطوّر الطبيعيّ لآراء لوثر وموقفه من "الكلمة" نراه، برأينا، عند كارل بارث الذي أبرز، وبشكل مثير للدهشة، يسوع المسيح الكلمة الحيّ الذي لا تسعه ولا تحدّه كلّ الكلمات المكتوبة.

الخاتمة

لقد أبرزت دراسة "كلمة الله في العهد القديم وفي المسيحيّة الباكرة وجود نوعين من التوتّر: توتّر بين العقلانيّة والتصوير في إعلان كلمة الله. لقد شدّد الأنبياء الأوّلون على "العقلانيّة" في الإعلان الكلاميّ، وأدخل الأنبياء المتأخّرون الرؤى والتصوير الرمزيّ على الإعلان الكلاميّ. لقد تجسّد هذا النوع من التوتّر أيضًا بتوتّر بين "الكهانة" والنبوّة، أو بتدقيق أكثر، بين الحفاظ على شكل الممارسة الدينيّة أو الشريعة فقط، والمنادين بضرورة عيش الشريعة أو الممارسة الدينيّة على المستوى الخلقيّ. وهذا تحدّ يواجه كلّ المتعاملين مع الليتورجيّا والكتاب المقدّس.

النوع الثاني من التوتّر هو توتّر بين الحرفيّة أو اللفظيّة والمعنويّة (من معنى). إنّه توتّر بين فريق اجتهد في السعي

إلى المحافظة على مخارج الألفاظ وإلى تقديس النصّ، وفريق يرى أنّ الكتاب المقدّس لا يحفظ في الذهن في نصوص نستظهرها، بل في القلب في عمل محبّة نعيشه. "السبت للإنسان لا الإنسان للسبت"، وهذا تحدّ كبير أمام الكنيسة المسيحيّة، كيف تتجاوز إطار الحرفيّة القاتلة في مجتمع إسلاميّ يشدّد على الألفاظ في الكتابات المقدّسة.

إنّ هذين التوتّرين، هما التحدّيان الكبيران اللذان يجب أن يبحث فيهما:

– كيف يتمّ التوفيق بين إعلان الكلمة في التعليم وإعلانها في الليتورجيّا، دون أن تأخذ وسيلةٌ شيئًا من الوسيلة الأخرى؟

– كيف نشجّع شعبنا على قراءة الكتاب المقدّس، ونحافظ عليه من الأصوليّة الدينيّة، في مناخ مفعم بالأصوليّات؟

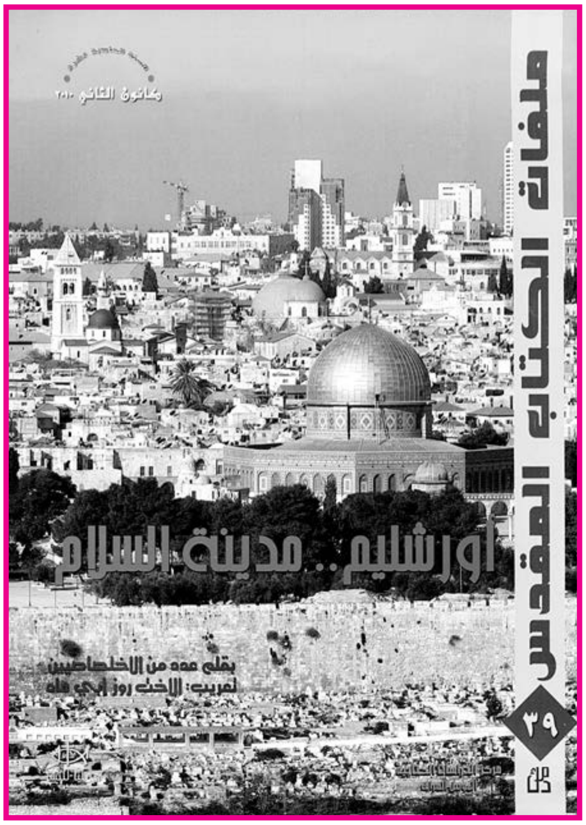

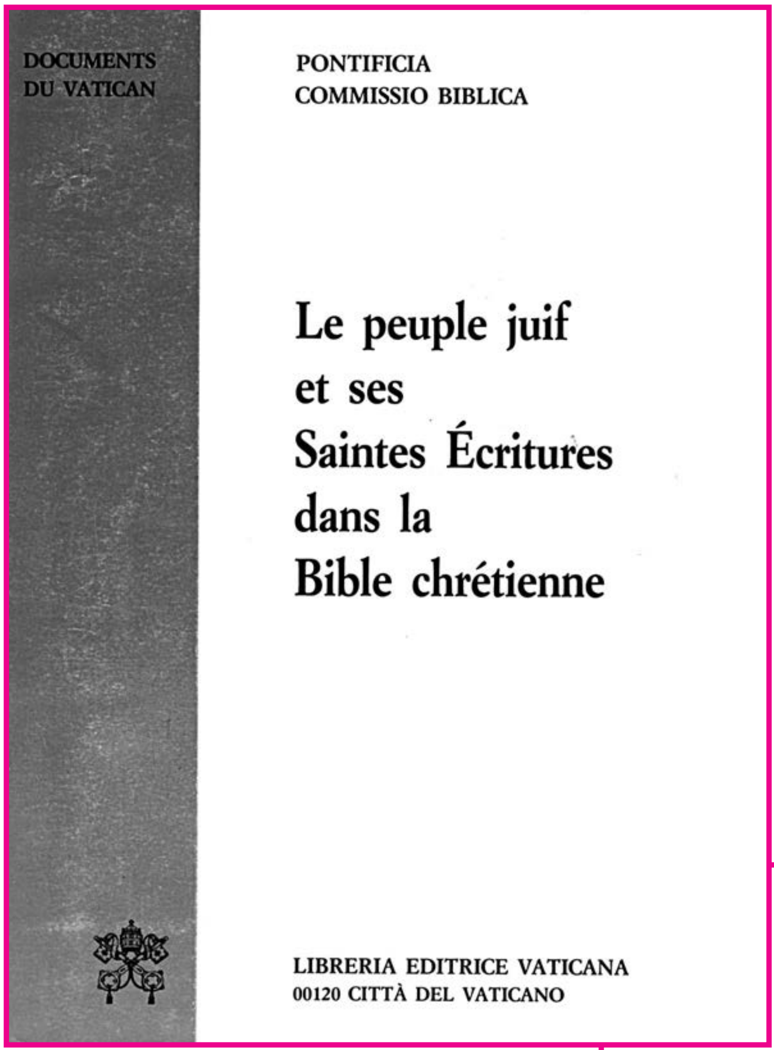

DOCUMENTS DU VATICAN

PONTIFICIA
COMMISSIO BIBLICA

Le peuple juif
et ses
Saintes Écritures
dans la
Bible chrétienne

LIBRERIA EDITRICE VATICANA
00120 CITTÀ DEL VATICANO

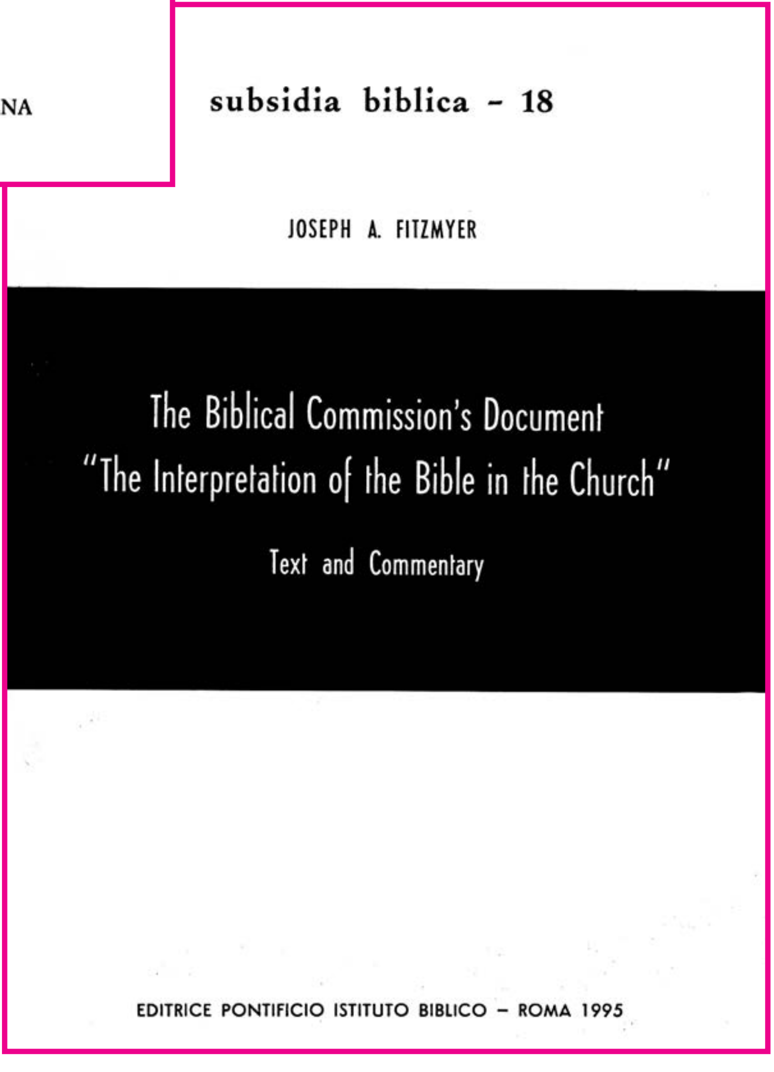

subsidia biblica - 18

JOSEPH A. FITZMYER

The Biblical Commission's Document
"The Interpretation of the Bible in the Church"

Text and Commentary

EDITRICE PONTIFICIO ISTITUTO BIBLICO – ROMA 1995

الوحي وكلام الله والكنيسة

الأخت باسمة الخوري
دكتورة في لاهوت الكتاب المقدّس

الفصلُ الأوّل من الخطوط العريضة لسينودس الأساقفة في جمعيّته العامّة العاديّة الثانية عشرة، هذا الفصلُ المُعَنْوَنُ «الوحي وكلام الله والكنيسة»، هو قبل كلّ شيء، تأمّل حقيقيّ يدعو إلى الدخول في عمق السرّ الأجمل، سرّ علاقة الله الحميمة بالإنسان خليقته. في وحيه يتوجّه الله اللامنظور إلى البشر على أنّهم أصدقاء. يتحاور معهم ويدعوهم إلى مشاركته حياته. في مشروعه الخلاصيّ هذا، تتماشى الأقوال والأعمال، فتؤكّد الأعمال، التي حقّقها الله في التاريخ، صحّةَ معاني الكلمات؛ وتعلن الكلمات أعمال الله، وتكشف السرّ الذي تحتويه؛ وتُشعُّ حقيقة وحي الله بالمسيح وسيط الوحي وملئه.

تؤكّد هذه الخطوط العريضة، بأنّ كلمة الله لم تكن أبدًا منفصلة عن تاريخ الإنسانيّة. «فقد دخلت، وهنا أقرأ من نصّ الخطوط العريضة، بمبادرات إلهيّة متواترة، عمق أفكار البشر وأقوالهم ومبادراتهم، فكانت «عمّانوئيل»، «الله معنا»، تُنتج من خلال الإنسان عظمة أعمال الله، لكنّ المبادرة اللامتوقعة كانت أن كلّمنا الله بابنه الكلمة المتجسّد. وحده، وهو الكلمة، هو مفتاح تفسير كلام الله. يسوع هو إذًا مركز كلام الله، إليه يصل الوحي، وبه يُفهَم في كلّ زمان ومكان. صحيح أنّ الوحي خُتِم مع موت آخر الرسل، لكنّ الكلام الموحى، على ما يؤكّد النصّ، لا يزال يُعلَن، فيخلق حدثًا يُدعى كلام الله. من هنا، أهمّيّة تفسيره الصحيح بالروح القدس.

وإن كان الله هو صاحب المبادرات، فإنّ الإنسان يبقى المسؤول عن التجاوب معها، من خلال لقاء الكلمة، بالكرازة وبالقراءة.

هذا هو ملخّص الفصل الأوّل. في مداخلتي القصيرة، أنا لن أدخل في تفاصيل هذا الفصل الذي يقع في اثني عشر عددًا من مجموع ثلاث وثلاثين (من العدد ٦ حتّى العدد ١٧)، وينتهي بخمسة وثلاثين سؤالاً تحت ستة أبواب، بل سأحاول بالأحرى تقديمه من خلال ما يبدو أنّه الهمّ الذي أدّى إلى وضعه.

بعد عرضٍ وافٍ لطبيعة الوحي ومبادرات الله الخلاصيّة عبرَ التاريخ، يتركّز هذا الفصل حول ما يحياه عالمنا اليوم من مفارقات. ففي حين يبدو، من جهة، وكأنّه يعيش جوعًا وعطشًا وتوقًا لمعرفة الحقيقة، يظهر، من جهة ثانية، مكتفيًا بمقدّراته الذاتيّة الفلسفيّة والعلميّة والتاريخيّة. وفي حين تُظهِر القيمُ الإنسانيّة والثقافات رغبةَ هذا الإنسان وبحثَه عن الحقيقة، فإنّ هذه المعرفة المبهمة وغير الكافية تعطيه الثقة بأنّه قادر أن يكون صانع التاريخ وسيّده.

من خلال هذا الفصل الأوّل، يمكننا أن نفهم الخلفيّة الكامنة وراء تخصيص السينودس لموضوع «كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها». فإن كان المعلَن يؤكّد بأنّ المنطق يقضي بذلك، بعد سينودس خُصِّص للإفخارستيّا، وذلك للتشديد على الرابط الجوهريّ بين الإفخارستيّا والكلمة، عنصرَي الليتورجيّا الأساسيّين، فإنّه لا يمكننا إلاّ أن نلاحظ ما تحياه الكنيسة من مواضيع طارئة، تبدو واضحةً لمن يعرف أن يقرأ ما بين السطور. يمكن حصر هذه المواضيع بعنوانين وميزتين:

– العنوان الأوّل هو همّ الكنيسة في تحفيز الجماعات المسيحيّة لإعادة إكتشاف الكتاب المقدّس ومعرفته العميقة وتفسيره الصحيح. ففي عصرٍ انقسم فيه البشر بين لا مبالٍ وأصوليٍّ، يأتي هذا الفصل الأوّل من **الخطوط العريضة** ليحرّك الكنائس ويلفتها إلى ضرورة الوعي لأهمّيّة معرفة الكتاب المقدّس، وكأنّ المقصود هو الوعي لخطر تيارات فردانيّة مبشّرة بالوصول المباشر إلى الله من خلال كلامه، وذلك بصورة شخصيّة خارجًا عن كلّ سلطة كنسيّة، أو لخطر تيّارات أصوليّة تجد رواجًا ونجاحًا كبيرين، في تأكيدها على المعنى الحرفيّ للبيبليا.

– العنوان الثاني هو التشديد على أهمّيّة التمييز بين الكتب المقدّسة القانونيّة، وبين ما يظهر من كتب تدّعي الصحّة والحقيقة؛ فقد قامت في السنوات الماضية همروجةٌ ضخمة، إستندت حينًا إلى روايات خياليّة تعطي الانطباع بأنّها علميّةٌ تاريخيّة، تؤكّد تلاعب الكنيسة بالنصوص البيبليّة، وإخفاءها الكتب الصحيحة خدمةً لمصالحها الخاصّة وتحويرًا للحقيقة، وتبشّر حينًا آخر بظهور إنجيل حقّ، هو البرهان الساطع على هذه التأكيدات؛ أو تخصّص أحيانًا المبالغ الضخمة وأكبر الوسائل الإعلاميّة والتقنيّة لإعلان عقائدَ إيمانيّة تناقض البشارة الإنجيليّة. هذا ما حدث مع رواية شيفرة دافنتشي، أو إنجيل يهوذا، أو ظهور قبر يسوع وعائلته.

– هنا تأتي الخطوط العريضة لتضع النقاط على الحروف مذكّرة بأنّ الكتب القانونيّة هي وحدها البيبليا، وبأنّ يسوع المسيح هو مركزها ومفتاح تفسيرها على ما تعلّمه الكنيسة وسلطتها.

إضافة إلى هذين العنوانين، يبدو واضحًا طرح الخطوط العريضة لموضوعين معاصرين، ربّما كنّا في الشرق أكثر مَن يواجههما:

– الموضوع الأوّل: الانتباه إلى أنّ المسيحيّة ليست «دين الكتاب»، على ما يقوله الإسلام، بل هي كلمة الله المتجسّدة بيسوع المسيح.

– الموضوع الثاني: إعادة اكتشاف نصوص العهد القديم، بغضّ النظر عن المواقف السياسيّة، التي تحبّذ العلاقات مع الشعب اليهوديّ أو ترفضها.

لكنّ الجديد الرائع يبقى برأيي إعراب هذه الخطوط العريضة في فصلها الأوّل، عن القلق من «معرفة غير كافية أو غير دقيقة لقواعد الفسارة، توافق هويّة الكلمة، ومركّبَة من قياسات بشريّة وموحاة، في إطار التقليد الكنسيّ والإصغاء إلى السلطة التعليميّة» (ف ١، عدد ١٦).

يهدف كلّ هذا الفصل الذي يستعيد، في جوهره، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله،** للوصول أوّلاً إلى البحث، في الفصل الثاني، عن مكانة كلام الله في حياة الكنيسة، التي تأخذ لها من مريم مثالاً، وقد آمنت بما قيل لها من قِبَل الربّ، فحملت بالكلمة وولدته. وثانيًا إلى ما يتوسّع فيه الفصل الثالث بخصوص كلام الله في رسالة الكنيسة، وقد سلّمها الله مسؤوليّة نقل كلمته لكلّ الأجيال، فلا تبقى الكلمة مستودعًا جامدًا، بل كلامًا معاصرًا وآنيًا.

وتأتي الأسئلة أخيرًا كفحص ضمير يُقدّم للرعاة ولكلّ المسؤولين عن حمل بشرى كلمة الله، تاركة إيّانا أمام أسئلة كبيرة، عسى أن تكون لدينا الجرأة والشجاعة للإجابة عليها.

* * *

كلام الله في حياة الكنيسة
الوجهة العقائديّة والوجهة الرعائيّة

الخوري بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمة

حين دعا قداسة البابا يوحنّا الثالث والعشرون لانعقاد المجمع المسكونيّ، كان همُّه رعائيًّا في الدرجة الأولى. وحين أُعلن الدستور العقائديّ في الوحي الإلهيّ، في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٥، كان فصل سادس عنوانه: الكتاب المقدَّس في حياة الكنيسة. بعد الدرس العقائديّ حول الوحي والإلهام، حول العهد القديم والعهد الجديد، برزت الوجهة الرعائيَّة. وعلى أساس هذا الفصل السادس ولدت الرابطة الكتابيَّة "في ١٦ نيسان ١٩٦٩ وهدفها مساعدة الأساقفة في مهمَّة جعل كلمة الله في متناول الجميع". ومنذ سنة ١٩٩٣ واجتماعنا في شتوتغارت، بألمانيا، ونحن نطالب بعقد سينودس حول الكتاب المقدَّس. وأكّدنا على أهميَّة هذا الحدث في الهيئة العامَّة سنة ١٩٩٦، التي انعقدت في هونغ كونغ وما تلاها من اجتماعات، وفي الهيئة العامَّة التي انعقدت في لبنان سنة ٢٠٠٢. والحمد لله وصلت الرابطة إلى وقت جعلت الكنائس الخاصَّة تحسُّ بالحاجة إلى عقد هذا السينودس، الذي أُعلن رسميًّا في السادس من تشرين الأوَّل سنة ٢٠٠٦. عندئذ كتبتُ حالاً إلى الأمين العامّ مبديًا فرحي لهذا الحدث الذي طالما تمنّيناه بحيث يصبح في العالم، وفي شرقنا بشكل خاصّ، موضع خاصّ لمائدة الكلمة بقرب مائدة الإفخارستيّا. فمن المؤسف أن نقول إنّ مائدة الكلمة اعتبرت مقدِّمة للأساس الذي هو "القدّاس والذبيحة". فقيل لنا إن أتيتَ إلى القدّاس بعد النؤمن، لا بأس، يمكنك أن تتناول. وبشكل عامّ، اعتُبرت العقيدة قبل كلام الله الذي نأخذ منه عبارة من هنا وعبارة من هناك لكي نسند مقالنا. وكذا نقول عن الحقّ القانونيّ وسائر الدراسات ونسينا "ينبوع الحياة الحيّة" (إر ٢: ١٣) الذي يصير في المؤمنين "نبعًا يفيض الحياة الأبديَّة" (يو ٤: ١٤).

أمّا الفصل الذي نقرأه فعنوانه "كلام الله في حياة الكنيسة". وقد جاء في وجهتين: **الوجهة العقائديَّة والوجهة الرعائيَّة**. هذا ما نودُّ أن نبرزه.

١ – الكتاب المقدَّس في إطار الثالوث

تلك هي الوجهة العقائديَّة. فتاريخ الخلاص كلُّه ينبع من الثالوث. فالآب السماويّ يتقدَّم إلى لقاء أبنائه من أجل حوار لم ينقطع منذ بداية تاريخ البشريَّة الروحيّ، حين كان يتمشّى في الجنَّة مع "آدم وحوّاء" مع أوَّل عيلة بشريَّة، وما زال يحدِّثنا عبر الكلمة التي وصلت إلينا كتبًا مقدَّسة.

"تبارك الله أبو ربِّنا يسوع المسيح" (أف ١: ٣). أجل، كلُّ مبادرة في الثالوث، مصدرها الآب. وكذلك في تاريخ الخلاص. فهو الذي "أحبَّ العالم فأرسل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يو ٣: ١٦). وهو الذي يرسل إلينا الروح القدس على ما قال الربُّ يسوع: "وسأطلب من الآب أن يعطيكم معزِّيًا آخر يبقى معكم إلى الأبد" (يو ١٤: ١٦).

من الله الآب وصلت إلينا "رسالة" هي "كتاب حياة". نجلُّها كما نجلُّ جسد

المسيح. اعتاد آباؤنا أن يبدأوا قراءة الكتب المقدَّسة بقبلة على الصفحة التي يقرأون، وينهوا القراءة بقبلة أيضًا. وما زال الكاهن يفعل حين يقرأ الإنجيل في الاحتفالات الليتورجيَّة. فأين موضع هذا الكتاب في بيوتنا؟ أم نضع الطُرف والآنية المزخرفة على هذه الطاولة وتلك بحيث لا يبقى موضع نضع فيه الكتاب المقدَّس. لا شكَّ في عاداتنا نضع صور القدّيسين والصليب، ونعدُّ مذبحًا في غرفة من غرفنا. ويبقى الشيء الأكبر كلام الله. نجعل الكتاب المقدَّس بين سائر الكتب. وإذا كان مجلَّدًا تجليدًا فنِّيًّا نرتِّبه مع كتب فنِّيَّة فلا يختلف عنها.

فإذا أرادت الكنيسة أن "تكتشف مخطَّط الله من أجلها، من أجل عالم البشر وعالم الأحياء"، تعود إلى هذا النور الذي يرسله الآب إليها يومًا بعد يوم، وهو نور يحمل معه الحياة. وكذلك يفعل المؤمن. يقرأ الأسفار المقدَّسة لكي يصل في النهاية إلى من هو الكلمة يسوع المسيح. لم يعد كلام الله فقط ألفاظًا نقرأها ونحفظها غيبًا ونردِّدها. بل صار شخصًا حيًّا. صار إنجيلاً وخبرًا طيِّبًا انطلق من أورشليم فوصل إلى أقاصي الأرض.

كلَّمنا الله "من قديم الزمان بلسان الأنبياء" (عب ١: ١). "ولكنَّه في هذه الأيّام الأخيرة كلَّمنا بابنه" (آ ٢). أجل، الابن هو الذي يحمل إلينا كلام الله. وانطلق هذا الكلام بواسطة الرسل والتلاميذ ولا يزال حاضرًا في الكنيسة حتّى نهاية العالم. أما هذا أحد المعاني لكلام الربِّ يسوع حين ودَّع تلاميذه: "ها أنا معكم طوال الأيّام إلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠)؟

هذا الكتاب يرافق الكنيسة والمؤمنين، جماعات وأفرادًا. عليه انكبَّ الآباء فرأوا فيه "ينبوعًا يستقون منه اللاهوت والروحانيَّة والحياة الرعائيَّة". هذا الكتاب نبحث فيه لنكتشف فيه بشكل خاصّ المعنى الارتقائيّ، الذي يجعلنا نصعد من المعنى الحرفيّ إلى المعنى الروحيّ. لا شكَّ في أنَّنا نقرأ النصَّ في لغته الأصليَّة، ونحلِّله. وإذا كنّا على مستوى العهد القديم، نجعله في الإطار التاريخيّ الذي فيه كتب. هكذا فعل أفرام ويوحنّا الذهبيّ الفم وسائر الآباء في أنطاكية وامتدادها. ولكنَّنا لا نتوقَّف عند الحرف "الذي يقتل" إن لم نخرج منه. كما لا نتوقَّف عند النصِّ على مستوى القشرة فنصل إلى اللبّ وإلى عمق الثمرة. أنريد أن نبقى على الشاطئ، أو على سطح الماء، أم ننتزح إلى العمق كما طلب الربُّ من تلاميذه؟ (لو ٥: ٤). حين نزلوا إلى العمق كان لهم الصيد الوفير. ولا نعيش في الماضي وما تركه لنا الآباء والشرّاح، ولا نجسر أن نواصل البحث والتأمُّل والصلاة، كأنَّ الروح القدس هو من الماضي وما عاد يفعل في الكنيسة وفي المؤمنين، اليوم وكلَّ يوم. "أفيض روحي على كلِّ بشر فيتنبَّأ بنوكم وبناتكم". يتنبَّأون أي يدخلون في سرِّ الله ويخرجونه إلى العلن كما الماء يخرج نبعًا من قلب الأرض.

بهذا الروح ندخل إلى قراءة الكتب المقدَّسة. إذا كان هو الذي يتكلَّم فينا، فهذا يعني أنَّه يعلِّمنا. وفي هذا قال لنا الربُّ يسوع إنَّه لم يُعطنا كلَّ شيء لأنَّنا لا نقدر أن نحتمل (يو ١٦: ١٢). ويواصل كلامه: "فمتى جاء روح الحقِّ أرشدكم إلى الحقِّ كلِّه" (آ ١٣). فحين ندرس الكتاب، ندعو الروح. وحين نقرأ، وحين نصلّي ندعو الروح. هو الذي كان المعلِّم للرسل والتلاميذ حين انطلقوا في الرسالة. جعل من بطرس، صيّاد السمك، ذاك الذي يوصل كلام الحياة إلى الألوف. وعلَّم بولس ودفعه إلى البعيد، إلى العالم الوثنيّ (أع ٢٢: ٢١).

هذا الروح يُدخل الكلمة في الكنيسة، وفي قلوب المؤمنين. فالإنسان لا يسمع بأذنيه فقط، بل بقلبه أيضًا. والإنسان لا يغتذي بالخبز فقط، بل بكلِّ كلمة تخرج من فم الله. إن كان ما كُتِبَ كتب لتعليمنا، كما يقول الرسول (رو ١٥: ٤)، فمن هو الذي يعلِّمنا اليوم، ويفهمنا معنى كلام الله، فيطبعه في قلوبنا "عملاً وحقًّا" (١يو ٣: ١٨)؟

٢- الكتاب المقدَّس في حياة الكنيسة

كلام الله طعام، شأنه شأن جسد الربّ. لهذا، فالكنيسة مدعوَّة لأن

تغتذي منه. والكنيسة عرفت احتفالات تتوقَّف عند إعلان كلام الله وإنهائه بالبركة، على ما كان يفعل الشعب الأوَّل. في ما يُسمّى صلوات الفرض خصوصًا في المساء. وفي الجماعات البروتستانتيَّة التي لا تكسر الخبز كلَّ مرَّة تجتمع الاجتماع الأسبوعيّ، نستعدُّ بالصلاة والشكر، وتكون الذروة قراءة الكتب المقدَّسة، وتأويلها وتأوينها. من هنا نفهم أهميَّة العظة التي هي امتداد لقراءة الكتب المقدَّسة. هذا يعني أنَّ "الواعظ" امتلأ من الروح على مثال مريم التي يتحدَّث عنها النصُّ مرارًا. فهو لا يقول في لغة باهتة ما قرأه من كلام الله، بل يشرحه ويطبِّقه على حياته وحياة المؤمنين في الواقع الحاليّ.

لا مكان لكرازة لا ترتكز على الكتاب المقدَّس. ولا لصلاة لا تنبع من كلام الله. هذا يعني أنَّ المؤمنين عندنا انقطعوا عن هذا الينبوع الجاري، صلوات لهؤلاء القدّيسين وأولئك، مسابح عديدة من الورديَّة إلى مسبحة قلب يسوع إلى مسبحة الموتى، إلى زيّاحات عديدة، تحمل العواطف السطحيَّة ولا تغذّي المؤمنين. كيف نصلّي مع مريم ولا نتذكَّر أنَّها أنشدت الربَّ نشيدًا مملوءًا من الكتاب المقدَّس، "تعظِّم نفسي الربّ". كيف نحتفل بزيّاح لا مكان فيه لكلام الله؟ لماذا لا تكون القراءة حاضرة في نهاية صلاة المسبحة التي اعتادت الرعايا أن تتلوها. وكذا نقول عن مختلف الزيّاحات.

أتذكَّر مرَّة صلاة المساء. انتهت بسرعة لقصر الوقت. وماذا حُذف منها؟ قراءة الكتب المقدَّسة. استعدَّ المؤمنون واستعدُّوا. ولمّا جاء وقت الطعام، قيل لهم: أخرجوا. فلا مائدة أمامهم، على ما قيل في المراثي: "طلب الأولاد الخبز، فما كان من يعطيهم" (مرا ٤: ٤). خلق فينا الروح جوعًا، فما شبعنا، بل ذهبنا خائبين. هذا ما رفضه يسوع حين قيل له بأن يصرف الجموع دون أن يطعمهم. قال: "إن صرفتُهم إلى بيوتهم صائمين، خارت قواهم في الطريق، ومنهم من جاء من مكان بعيد" (مر ٨: ٣). وهل نتساءل بعد ذلك لماذا يتركنا المؤمنون؟ لأنّنا لا نعطي المؤمنين خبزًا بل حجرًا (مت ٧: ٩)، أو يمضون إلى حيث يسمعون كلام الله. فالربُّ قال بلسان نبيّه عاموس: "ستأتي أيّام أرسل فيها الجوع على الأرض، لا الجوع إلى الخبز ولا العطش إلى الماء، بل إلى استماع كلمة الربّ" (عا ٨: ١١). والناس يفرحون حين نعطيهم ذاك الغذاء الذي يشبع جوعهم، فيجعلهم يجوعون إلى البرّ ويعطشون. ولكن عكس ذلك يحصل كما يقول النبيّ "فيسقط الشبّان ولا يقومون". لماذا نزحوا من بحر إلى بحر، ومن الشمال إلى المشرق، وطافوا في طلب كلمة الربِّ، فما وجدوا" (آ ١٢)؟

أربع محطّات

أين يمكن أن تصل كلمة الله إلى المؤمنين؟ تحدَّثت الوثيقة عن **أربع محطّات**:

الأولى: في الليتورجيّا والصلاة

لا ليتورجيّا بدون كلام الله. لا ممارسة للأسرار بدون قراءة الكتب المقدَّسة. فإن غابت هذه القراءة، صار السرُّ الذي نحتفل به بعض السحر. تعلَّمنا منذ مجمع ترنتو في إيطاليا أنَّ السرَّ يفعل بالفعل ذاته. هذا، ما لا شكَّ فيه، لأنَّ الله وحده يحوِّل الماء الجارية حشا جديدًا يلد البنين، والخبز جسد الربِّ والخمر دمه. ولكن أين استعداد الكاهن؟ وأين حضور المؤمنين؟ هل هم متفرِّجون، يعيشون خارج الاحتفال، كما يفعلون حين يطول الترتيل والكلام؟ يخرجون، يرتاحون، يعودون، والاحتفال لا يتوقَّف.

في الليتورجيّا، نسمع الكلمة، نتأمَّل فيها، نصلّيها. لهذا، في الجماعات الديريَّة، بعد صلاة الفرض هناك صمت طويل أو قصير، فيه نكتنه كلمة الله التي سمعناها وفسِّرت لنا. إذا كان تناول جسد المسيح يحوِّلني إلى جسد المسيح، إلى الكنيسة، فالغذاء من الكتاب المقدَّس، يجعلنا كتابًا مقدَّسًا، حيًّا. وإلاّ لبثت كلمات الكتاب حروفًا ميتة.

الثانية: في الأنجلة وفي الفقاهة

نعم، نحمل الإنجيل إلى الآخرين. الجميع يقرأون في أيّامنا. لماذا لا يصل

إليهم الإنجيل في اللغة التي يفهمون؟ لماذا لا يُشرَح لهم في حلقات دراسيَّة، وفي شروح مكتوبة؟ والإنجيل لا يكون فقط في الكنيسة، بل يكون في البيت. كلُّ واحد له إنجيله الخاصّ، يقرأ فيه كلَّ يوم، يدوّن عليه ما يعلّمه الروح، أم لا وقت لنا نقرأ الإنجيل؟ قلت مرَّة للكهنة: تقرأون الصحافة تعظون السياسة. تقرأون الإنجيل تعظون الإنجيل.

وتحمل الكنيسة الإنجيل أبعد من الإطار الذي تعيش فيه. فهي مدعوَّة إلى أن توسّع "ملكوت الله" بحيث تتابع الكلمة جريها ولا يتوقّف كما يقول بولس الرسول. وإلاّ انغلقنا على ذواتنا وشابهنا الكنيسة الأولى التي كادت تقع في تجربة الانغلاق: المسيحيّ يكون أوَّلاً يهوديًّا، يُختن، يجب أن يأتي إلينا ونحن نرسله إلى المسيح! هل نسينا أنَّ المسيح جاء لكي يخلّص الجميع، وأنَّه ليس ملكنا نحوّله كما نشاء؟ لا. الإنجيل ليس في خدمتنا وخدمة مآربنا، نوجّهه كما نشاء، بل نحن نسمع الإنجيل خاشعين، متواضعين، كما كانت مريم عند قدمَيْ المعلّم، ساعة كانت أختها مرتا مأخوذة بالهموم والانشغالات.

استنبطنا كلمة "أنجلة"، لا من الفرنسيَّة، بل من اليونانيَّة عبر السريانيَّة، "أونغليون". ولماذا نخاف الكلام الجديد فنكتفي بأن نكرّر اللفظ الواحد لأكثر من معنى؟ واستنبطنا "الفقاهة"، بجانب الكرازة، لأنَّها تعني أنَّنا نحاول أن نفهم كلام الله، ونجعل الناس يفهمونه. والفقاهة لا تستند إلى الحكمة البشريَّة، ولا إلى الخطاب البليغ، بل تكون رفقة الكتب المقدَّسة ولقاء معها.

الثالثة: في التأويل وفي اللاهوت

نقطة الانطلاق في الإيمان هو الكتاب المقدَّس بعهديه القديم والجديد. نقرأه، ندرسه، نؤوّنه، نشرحه بحيث يصبح قريبًا منّا. هذا ما يفعله الشارح والواعظ ومعلّم التعليم المسيحيّ. بالكتاب يبدأ لإيصال الرسالة إلى أيَّة فئة من الفئات، الكبار أو الصغار، المعلّمين والأمّيّين. فالكتاب مفتوح للجميع، ولكنَّ الجميع لا يستطيعون الولوج إليه بسهولة، لأنَّه كُتب من زمن بعيد، كان وزير ملكة الحبشة يقرأ أشعيا، فسأله فيلبُّس، أحد السبعة: هل تفهم ما تقرأ؟ هو ما أجاب: بالتأكيد، فأنا لا أحتاج إلى مساعدة أحد. أنا أكتشف المعاني بذاتي، بل: "كيف أفهم ولا أحد يشرح لي؟" (أع ٨: ٣١). ويواصل النصّ: ترجّى الوزيرُ فيلبُّسَ أن يصعد ويجلس معه (آ ٣٢). ونحن نحتاج إلى من يجلس معنا ويفهمنا الكتاب، لئلاّ يغيب عنّا المعنى العميق، أو نكتفي بترداده دون اكتناه معناه.

هذا يعني ضرورة وجود مؤوّلين، مفسّرين، يدرسون النصوص في أصولها، يتفهّمون ويستنيرون بمن سبقهم، ويقدّمون مائدة الكلمة للمؤمنين. بعد ذلك، يأتي اللاهوت أو التعرُّف إلى الله. إذا كان الله يحدّثنا عن نفسه، فنحن نعرفه حين نقرأ ما كتب لنا. والدراسة اللاهوتيَّة الحقَّة تنطلق من الكتاب المقدَّس، وإلاّ لا تكون انطلاقتها في الطريق الصحيح. وما أبشع الحوار حين يسيطر فيه اللاهوت على الكتاب المقدَّس، فيحوّره من أجل عقيدة تبنّاها ونحسبها "التعليم"! كلُّ مياه لا تجري من الينبوع، هي مثار شكّ. وماذا نقول عن الفلسفة وعلم النفس وغيرهما من العلوم التي تغطّي كلام الله بحيث لا يصل إلينا، كما هو الأمر بالنسبة إلى الموسيقى الصاخبة التي تمنع كلام الله من الوصول إلى آذان المصلّين؟

الرابعة: في حياة المؤمن

إذا شئنا، جاءت المحطّات الثلاث الأولى من مسؤوليَّة الكنيسة والمسؤولين فيها. والآن، نصل إلى المؤمن، كلّ مؤمن، سواء كان كاهنًا أو أسقفًا، أو راهبًا وراهبة. قال القدّيس أوغسطين: أنا كأسقف راعي نفوسكم. ولكنّي أنا مؤمن في ما بينكم. فأمام الله لا كبير ولا صغير، لا متعلّم ولا أمّيّ، لا غنيّ ولا فقير، لا رجل ولا امرأة. كلُّنا كالأطفال أمام الكلمة. ومن اعتبر أنَّه يعرف، يشبه نيقوديمس الذي قال له يسوع: أنت لا تعرف (يو ٣: ١٠). فمعرفة الله غير معارف البشر، والحكماء ليسوا في المقام الأوَّل. فقد قال الربّ: "أحمدك يا أبي، يا ربَّ السماء والأرض، لأنَّك أظهرت للبسطاء ما أخفيته عن الحكماء والفهماء" (مت ١١: ٢٥). الربُّ هو

المعلِّم الأكبر. هـذا ما فهمه القدّيسون. كاترينه السيانيَّة كانت أمّيَّة، وتركت لنا الشروح الرائعة. وتريزيا الطفل يسوع صارت ملفانـة في الكنيسـة، فعلَّمتنا الكثير عن الطفولة الروحيَّة، فشكَّكت اللاهوتيّين في أيّامها، ممّا جعلهم يحذفون المقاطع العديدة ممّا كتبته عن مسيرتها الروحيَّة. فهمت حقًّا كلام الربّ: "إن لم تصيروا كالأطفال، لن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ١٨: ٣). الطفل هو العظيم في الملكوت، أي ذاك الذي يعتبر أنَّه ينال كلَّ شيء من والديه. ونحن كالأطفال نقترب من كلام الله. ذاك ما كان يفعله المؤمنون في العهد الأوَّل، كان الصغير يسأل عمّا تفعله الجماعة: "فإذا سألكم بنوكم، ما معنى هـذه العبادة، فقولوا" (خر ١٢: ٢٦).

وانطلقت هـذه المحطَّة من كلام القدّيس جيروم: "من جهل الكتب المقدَّسة، جهل يسوع المسيح". والنتيجة، كما قال المجمع الفاتيكانيّ: "لهذا فمن الضروريّ أن يتعلَّق الإكليروس والعوام بالكتب (المقدَّسة) من خلال قراءة جادَّة ودراسة متقنة". هذا يصل بنا إلى الحوار بيننا وبين الله: نحن نتوجَّه إلى الله حين نصلّي. وهو الذي يسمعنا حين نقرأ الأقوال الإلهيَّة. في هذا قال القدّيس أوغسطين: صلاتك هي كلمة توجِّهها إلى الله؛ فحين تقرأ الكتاب، الله هو الذي يكلِّمك. وحين تصلّي، فأنت تكلِّم الله"، هذا يعني أنّنا نبدأ صلاتنا بقراءة كلام الله، نسمع الله، نتقبَّل ما يقدِّمه لنا، وبعد ذلك نُسمعه صوتنا. ذاك كان وضع مريم. كلَّمها الربُّ بفم الملاك: "السلام عليك، إفرحي. سيكون لك ولد، هو المسيح". أجابت مريم بنعم أوَّل. أنا أمُّ المسيح، وأمَّ المسيح بتول، فأنا راضية، خاشعة. ولكن كيف يكون لي ولد؟ وكلَّمها الربُّ مرَّة ثانية: "الروح يحلُّ عليك". فأجابت: "ها أنا خادمة الربّ". أمة الربّ ملتصقة بالربّ كما الأمة بسيِّدتها على ما قال المزمور ١٢٣: "كما ينظر العبيد إلى أيدي أسيادهم، وكما تنظر الأمة إلى يد سيِّدتها، كذلك ننظر نحن إلى الربِّ إلهنا" (آ ٢).

في هذا الإطار نودُّ أن نبرز **القراءة الربّيَّة**، لا الربّانيَّة؛ فهي قراءة برفقة الربِّ يسوع، على مثال تلميذَي عمّاوس: "دنا منهما يسوع نفسه ومشى معهما" (لو ٢٤: ١٥). ثمَّ "شرح لهما ما جاء في الكتب" (آ ٢٧). وكانت النتيجة: "احترق قلبنا في صدرنا، حين حدَّثنا في الطريق وشرح لنا الكتب المقدَّسة" (آ ٣٢). ونستطيع أن نتخيَّل تلك الإقامة مع يسوع، التي يتحدَّث عنها الإنجيل الرابع. قالاَ: "رابّي (أي: يا معلِّم)، أين تقيم؟" قال: "تعاليَا تريَا". فأقامَا معه ذلك النهار كلَّه" (يو ١: ٣٨-٣٩). لم يخبرنا الإنجيل بفحوى الحديث، ولكنَّ التأثير كان عميقًا. مثل هذه اللقاءات لا يستطيع اللسان البشريّ أن يعبِّر عنها. من يستطيع أن يقول لي أيَّ شيء عن الحوار العميق بين يسوع وقدّيسنا العظيم شربل؟ يا أبا الحقّ: نحن نعرف الأمور الخارجيَّة البسيطة عن القدّيس شربل، ولكنَّ سرَّ قداسته ليس هنا. كما أنَّ سرَّ قداسة رفقا لم يكن الألم الذي تحمَّلته، بل هذه المسيرة وراء يسوع، أو برفقة يسوع.

وكيف تكون الصلاة الربّيَّة؟

هناك **أربع خطوات**:

– **القراءة**. نقرأ النصَّ على مهل، بتمعُّن. نلفظ كلَّ حرف بحرفه. ونعيد القراءة لكي تدخل كلُّ كلمة في أعماقنا.

– ثمَّ يأتي **التأمُّل**. نتوقَّف عند المعاني والصور. نجعل نفوسنا مع الحاضرين والسامعين. ونفهم أنَّ هذا الكلام ليس أثرًا تاريخيًّا، بل يتوجَّه اليوم إلينا. دور السكوت كبير في هذه المحطَّة، على مثال إيليّا في جبل حوريب. حين سيطر السكوت على قلبه، عرف أنَّ الربَّ هنا.

– عندئذ نبدأ **بالدعاء**. بعد أن كلَّمنا الربُّ من خلال الكتب، نكلِّمه نحن ونقدِّم له الجواب على مثال مريم. وكما تقول الصلاة الربّيَّة: "لتكن مشيئتك".

– والمحطَّة الرابعة هي **المشاهدة**: نتطلَّع إلى الربّ، طويلاً، بانتباه عميق، بإعجاب، وسجود، ومحبَّة عميقة، أين منها محبَّة العروس لعريسها!

نشبه ذاك الفلاّح الذي اعتاد أن

يأتـي مـن عملـه ويركـع في الكنيسة. يتطلَّـع إلى المذبح. سألـه القدّيس يوحنّا مـاري فيانّاي، خـوري أرس: "ماذا تفعـل؟". أجـاب: "أنظـر إليـه وينظر إليَّ". هكـذا يجـب أن تنتهـي الصلاة الربّيَّـة. مثـل هـذه الصـلاة، لا بـدَّ أن تكوينا، تحرقنا في الداخل، تبدِّل حياتنا يومًا بعد يوم، فيتوقَّف الكلام، ويتوقَّف الطلب، ويتحدَّث القلب.

خاتمـــة

تلـك وصـلات قصـيرة في الكلام عـن الفصـل الثـاني مـن "الخطـوط العريضـة" لسينودس الأساقفـة الذي ننتظر انعقـاده في ٥–٢٦ تشرين الأوّل ٢٠٠٨، وعنوانـه: **كلام الله في حيـاة الكنيسـة ورسـالتها**. أين موقـع كلام الله في الكنيسـة؟ وهل هو الموقع الأوَّل، أم تسيطر علينا حكمة البشر، كما سيطرت في القرون الأولى من المسيحيَّة ففتحت الطريـق أمـام المجـادلات اللاهوتيَّـة وقسَّمت المؤمنين شيعًا وبدعًا، وفرَّقت بـين الإخـوة والأخـوات. انطلقنا من العقيدة التـي تقدِّم لنا الكتـب المقدَّسة على أنَّهـا هديَّة مـن الثالـوث، نقرأها بخشـوع لنجد فيها النـور والحياة. ثمَّ كانت الأمـور العمليَّة التي تساعد على جعـل كلام الله في متنـاول الجميـع. ولكن أيـن قدَّمت لنـا الكنيسـة مائدة الكلمـة هـذه؟ وإن شرحهـا الشرّاح، يبقـى علـى كلِّ واحـد منّـا أن يقرأها برفقة الـربِّ يسوع. فهو الألف والياء. معه نبـدأ ومعه ننتهي. فأيُّ نعمة هي لنا نحن العائشين في "هذه الأيّام الأخيرة" في خطـى العديدين مـن الشهود! وأيُّ مسؤوليَّة للذين أوكلـت إليهم الكنيسة أن يفتحـوا الكتب المقدَّسـة لإخوتهم، فيعرفـون أنَّ الإهمال والتكاسل خطيئة كبيرة! لهذا كان حكم الله بواسطة النبيّ ملاخي كبيرًا، فدعانا قائلاً:

"شَفَتَـا الكاهـن تحفظـان المعرفة، ومـن فمـه يُطلَـب التعليم لأنَّـه رسول الربِّ القدير" (ملا ٢: ٧).

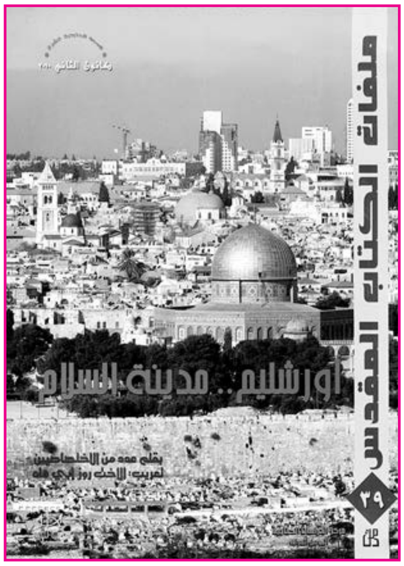

الكتاب المقدَّس والكنيسة

د. نقولا أبو مراد
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس في جامعة البلمند

في رتبة رسامة الأساقفة في كنيستي، يوضع الكتاب الذي يحوي قراءات الإنجيل اليوميّة الطقسيّة مفتوحًا على رأس المرشّح، وهو ساجد إلى الأرض. وتُتلى عبارات تذكّر مَن يوشك على أن يعيّن رقيبًا على التعليم في الكنيسة وعلى أحوالها أنّ كلمة إنجيل المسيح إنّما تبقى منارته والأمانة المسلّمة إليه إلى أن يشاء إلهه أن يسترجعها، بعد أن تكون قد فعلت فعلها، على ما يقول النبيّ إشعيا، ذلك أنّها لا تعود إلى الله فارغة أو لا ينبغي لها.

ويبقى الكتاب الطقسيّ مرافقًا للأسقف في الخدم، فلا يأتي القدّاسَ إلّا والكتاب مرفوعًا أمامه في الدخول الأوّل، الذي كان، تاريخيًّا، لحظة دخول الأسقف مع حاشيته من الشمامسة والكهنة والمؤمنين إلى الكنيسة للاحتفال بعشاء الربّ. يسير الشمّاس رافعًا الكتاب والأسقف خلفه، ويمضي الموكب إلى هيكل الكنيسة ليضع الأسقف الإنجيل على المائدة وسط الجميع ويرتّلوا: "قدّوس، قدّوس، قدّوس"، وكأنّ الكتاب هو سيّد إشعيا الجالس على العرش، يدعو النبيّ إلى التكلّم باسمه، معلنًا الدينونة على مَن "يسمعون سمعًا ولا يفهمون، وينظرون نظرًا ولا يبصرون".

بعد الترنيم الملائكيّ تتلى القراءات الكتابيّة، ويعظ الأسقف، ثمّ تُغلق الأبواب ليلبث في الكنيسة مَن كان يعي أنّ "مَن يتقدّم إلى جسد الربّ ودمه من غير استحقاق إنّما يأخذ دينونة لنفسه". موقع الكتاب الديّان هذا تمثّله جداريّات قديمة من القرن الرابع وما بعده على أعلى حنيّة الكنائس، تصوّر عرشًا يتربّع عليه درْجٌ ملفوف، هو الكتاب. لم يغب الدرْج عن هذه الجداريّات إلّا ابتداءً من القرن الثامن، بعد انتصار المدافعين عن الأيقونات، حين بدأوا يصوّرون الضابط الكلّ متأنّسًا، على ما جاء عند يوحنّا الدمشقيّ.

في تقديري إنّ ما سلف يعبّر بعمق عن مكانة الكتاب في الكنيسة منذ العصور الأولى، وذلك لأنّ جماعة المؤمنين تجد نفسها تتشكّل على أسس الكتاب، كتاب الله. وهذا ما يأتي واضحًا عند الرسول بولس الذي يشدّد لتيموثاوس على أنّ "كلّ الكتاب موحى به من الله، وهو للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهّبًا لكلّ عمل صالح" (٢ تم ١٦-١٧). بعد ذلك يدعو بولس أسقفه الشابّ إلى "الوعظ بكلمة الله بمناسبة أو غير مناسبة، فسيأتي وقت لن يطيق فيه الناس سماع التعليم الصحيح بسبب شهواتهم". لا نعجبنّ من ذلك، إذ هكذا تبقى الكلمة ديّانة جالسة على العرش. في غلاطية يخطّ الرسول "إنجيل المسيح الواحد" غير المحرّف ليصير خطًّا فاصلاً ما بين الذين يؤمنون والمبسولين إلى خارج بسبب تعليمهم الخاطئ. في نهاية الرسالة يعلن بولس أنّ ما كتبه إنّما هو قانون: "سلام ورحمة على الذي يسلكون بحسبه" (غل ٦: ١٦). هنا وثمّة في رسائله يوصي الرسول بأن تقرأ رسائله أمام الجماعة أو على الكنيسة، وكأنّه يعي تمامًا أنّ ما دوّنه من كلمات تصنع هذه الجماعة وتحوّلها من كتلة أناس مشدودين إلى شهواتهم

إلى ساعين لامتلاك روح الله المحيي.

ما من شكّ في أنّ رسول الأمم قرأ في حزقيّال أنّ هذا الروح عينه هو الذي دفع إلى النبيّ بدرْج وأمره بأن يأكله ليشعر هذا "بمرارة في فمه، وحلاوة في جوفه". أهي مرارة الكلمة المؤدّبة والمقوّمة، وحلاوة المصير حين تقبل؟ لعلّ الروح عينه الذي وضع الكتاب في جوف حزقيّال هو الذي أمره بأن يتنبّأ على العظام فيحييها، أي أن ينطق بما في جوفه، حاثًّا مَن كان نظيرَ الميت على أن يحيا بنعمة الله. بعد أن تحيا العظام اليابسة المتبعثرة، تتحوّل إلى جماعة وشعب عظيم، يطلب الله لها راعيًا على رتبة داود، يرعاها، "فيسلكون في أحكامي، ويحفظون فرائضي ويعملون بها" (حز ٣٧: ٢٤). في حزقيّال حركيّة سقوط وخلاص، يستهلّه مقطع العظام اليابسة، ويكتمل في بناء المسكن الذي الله في وسطه، جماعته متحلّقة حوله في مدينة قوامها وجود الربّ فيها. في سفر الخروج، في الفصل ٣٢، بعد خطيئة العجل الذهبيّ، يطلب موسى من الله أن يغفر خطيئة الشعب أو أن يمحوه من كتابه الذي كتب، فيجيبه الربّ: "مَن أخطأ، هذا أمحوه من **كتابي**" (خر ٣٢: ٣٣). تلك هي المرّة الأولى التي يرد فيها ذكر الكتاب في العهد القديم، مسمًّى "كتاب الله" أو "الكتاب الذي خطّه الله". المقصود هنا ليس أنّ الله هو الذي كتب بالمعنى الحرفيّ، إنّما أنّ المكتوب فيه لله، يُبقي فيه مَن يشاء ويقصي مَن يشاء، بمعنى أنّ الذين يمكثون ضمن دفّتيه، إذا صحّ التعبير، لا يمكن أن يكونوا من غير الأمناء لوصايا الله وأحكامه.

والحقّ أنّ قارئ الكتاب يلاحظ أنّ ثمّة مسيرة للناس في الكتاب، مسيرة من آدم العاصي إلى الجالسين على الكراسي في حضرة الله وحمله المذبوح يدينون الأمم والشعوب. مسيرة طويلة تعبر كتبًا وأنبياء ومعلّمين، وتمرّ في آلام يسوع وقيامته. لا شيء قبل السقوط إلاّ الله الخالق على أحسن وجه، ولا شيء بعد انتصار الحمل الذبيح إلاّه راجعًا سريعًا لإقرار سيادته على العالم. الجماعة أو الكنيسة ما بين رفعة الله ورفعة الحمل، تنتقل من حالة آدم الساقط، وقايين القاتل، وأهل بابل المستكبرين، ويعقوب المتمرّد المخادع، والملكيّة السكرى بمجدها، إلى وداعة عبد الربّ يسوع المصلوب، إلى شهادة بالدم يؤدّيها مضطهَدو إمبراطوريّات الناس، شهادة أبديّة لقاتل الوحش، الحمل الوديع الجالس على عرش الربّ مذبوحًا أيقونة للمتحلّقين حوله. يوحي آدم وقايين والجبابرة أبناء الآلهة والبشر وأهل بابل بتشتّت الجماعة إذا ما شردت عن مسالك الله، والكتاب يحتّم شرودها. لا مسلك للجماعة إلاّ مسلك أخنوخ ونوح وإبراهيم الأبرار الذين ساروا مع الله ولم يوجدوا بين الناس، على ما يقول الكتاب؛ فجماعة مؤلّفة من أمثال أخنوخ ونوح وإبراهيم دعوة لا واقع محقّق إلاّ بقوّة الله وروحه. يسير إبراهيم مسيرة الكتاب، فيخرج من جماعة مشتّتة، لا لغة لها، تدين بدين الكذب، ويمضي إلى عبادة الربّ وحده والسجود له. يصير إبراهيم المؤمن، من غير أن يرى، "أبًا لكثيرين" غير موجودين. نفهم من متّى أنّ أبوّة إبرهيم لم تتحقّق إلاّ في يسوع الذي ولد من مريم العذراء. هذا هو البكر الذي يفتتح البنوّة لله للذين يلبسونه، كما يقول بولس إلى الغلاطيّين.

بين آدم ومشهد الاحتفال بذبيحة حمل الله يسير الناس من تجمّعات بشر، مسالكهم بشريّة، وأهواؤهم بشريّة، منقسمين، متحاربين، لأنّ لا لغة واحدة عندهم، إلى إلفة الروح، إلى حال واحدة، حال الشهادة لَمن لأجلهم مات على الصليب. تلك هي الكنيسة. ومسيرتها في الكتاب الذي يحذّرنا سفر الرؤيا من أن نزيد عليه أو ننقص منه شيئًا لئلاّ يزيد علينا الله الضربات، أو يحذف أسماءنا من سفر المدعوّين إلى عرس الحمل. تعبر الكنيسة في الكتاب مسيرتها تلك، علّها تفوز، والفوز في الرؤيا لقليلين، وهو فيها، كما الحمل الذبيح في وسط الجامعة الشاهدة، والتي، وإن كانت قليلة، إلاّ أنّها تغدو الدنيا كلّها.

والعلاقة ما بين تلك الجماعة في مسيرتها، من سقوط آدم إلى فوز الشهود، علاقة حتمًا تفسيريّة. غير أنّ التفسير في هذه العلاقة ليس دومًا تفسير الجماعة للكتاب، بل الكتاب

في أحيانٍ كثيرة يقرأ الجماعة. فالموقف الذي يعتبر الكتاب موضوعًا للتفسير والكنيسة فاعل التفسير موقف فيه تعالٍ. إذا ما أخذنا المسيرة المذكورة في الاعتبار يكون الكتاب هو الذي يفسّر الكنيسة، ويأخذها في رحلة فيه تتأرجح بين فهم وعدمه، ليغدو النصّ قارئ الكنيسة في تعرّجاتها إن هي آمنت أو عصت، سقطت أو انتصرت. والتفسير الذي أتحدّث عنه هنا ليس مجرّد الجهد الذهنيّ لفهم هذا أو ذاك من المقاطع بمنهج منظّم علميّ قائم على قواعد، بل المقصود بالتفسير مآله المطلق، أي ترجمة الكتاب إلى معيوشيّة حقّة. خصيّ فيليبس اعتمد؛ بعد أن تمّ له تفسير الكتاب، جاء الفهم الحقيقيّ في الالتزام. إذا صحّ هذا تكون الكنيسة في الكتاب في فهم له إذا ما عاشته، وينعدم هذا الفهم في تمرّدها. في أسفار الحكمة تمييز بين الجاهل الشرّير والعارف الصالح. الجهل والمعرفة هنا مسلكيّان لا معرفيّان أو إبيستيمولوجيّان. لا أرى هنا كيف تكون هذه الجماعة سلطة مفسِّرة للكتاب وهي تحت سلطته. حتمًا إذا ما أخذنا المنحى العقائديّ يقول قائل إنّ الكنيسة تحفظ العقيدة بتفسير صحيح للكتاب، غير أنّ السلوك أبعد من العقيدة وأعمق، ونحن في السلوك تحت سلطان ولسنا أصحاب سلطان.

تبقى صورة الأسقف ساجدًا تحت الكتاب الإلهيّ وسائرًا خلفه مبدأً فساريًّا (herméneutique). التفسيَر أن تَرعى وتُرعى، وليس من قبيل المصادفة أن يشتقّ فعل التفسير من اليونانية، من الجذر الذي يشير إلى رعاية الأغنام. **الراعي هرماس**، كتاب جاء في القانون أحيانًا، يجعل من الكتاب مسلكًا للكنيسة في حياتها. أن تفسّر يعني أن ترعى، وأن تفسَّر يعني أن تُرعى، أن تسير وراء السائرين خلف الدرْج الإلهيّ للمشاركة في عرس الختن.

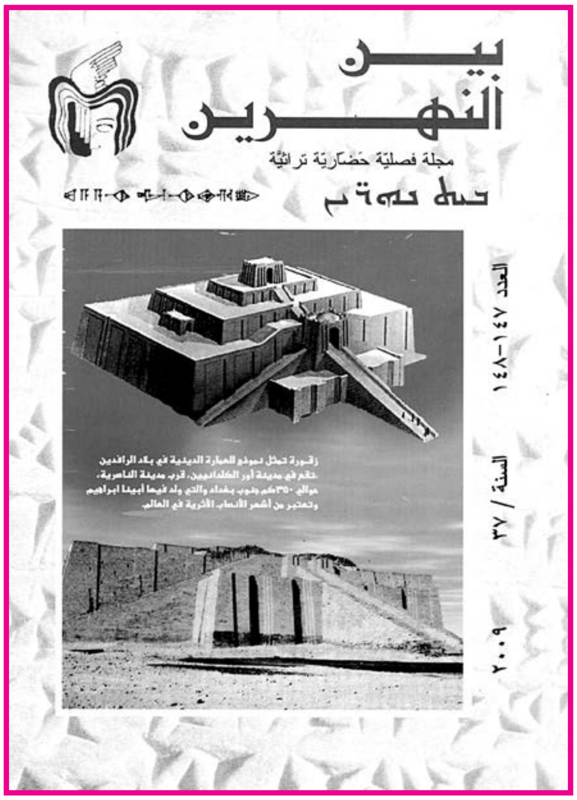

دراسات بيبليّة
-٣٩-

الكتاب المقدّس والليتورجيا

بحوث مهداة
إلى الأب الحبيس يوحنّا الخوند

الناشر
الأب أيوب شهوان

الرابطة الكتابيّة

الفهرس

الأب أيوب شهوان — كلمة الافتتاح — ٥
السيدة ماري عطالله خليفة — الأب الحبيس يوحنّا الخوند، معلّم الكتاب المقدّس ومُنشده — ٧
الخوري جوزف نفّاع — قصّة الخلق الأولى، قراءة ليتورجيّة — ٢٩
د. نقولا أبو مراد — الخروج كحدث ليتورجيّ — ٧٣
الخوري نعمةالله الخوري — ليتورجيّا الغفران في يوم كيبّور (لا ١٦: ١-٣٤) — ٨١
الأب أيوب شهوان — قداسة الكهنوت بحسب لا ٢١ — ٩٧
الأب جوزف بو رعد — تث ٣٢: قراءات في نشيد موسى — ١٣٣
القسّ هادي غنطوس — نشيد فقصّة فنشيد... في قلب الكتاب: الحركة الكتابيّة–الليتورجيّة في قض ٤-٥ ومز ٦٨ — ١٤٣
الخوري بولس الفغالي — العهد في شكيم والجماعة الليتورجيّة يش ٢٤: ١-٢٥ — ١٧٩
الأب أنطوان عوكر — دا ٣: بين ليتورجيّة الآلهة وليتورجيّة إله العهد — ١٩٩
الأب هادي محفوظ — مز ١١٨: ٢٥ب-٢٦أ، بين العهدَين القديم والجديد — ٢٠٩
الأخت باسمة الخوري — مديح الحكمة، مديح الكتاب... مديح الكلمة — ٢١٩
الخوري جان عزام — الصلاة اليهوديّة — ٢٣٩
الأب البروفسور عادل-تيودور خوري خلاص غير المسيحيّين في الكتاب المقدّس ٢٨٥
د. دانيال عيّوش — النشيد «تعظّم نفسي الربّ» (لو ١: ٤٦-٥٥) وسفر المزامير — ٢٩٥
الأب ريمون الهاشم — ظهور يسوع على التلميذين المتوجّهَين إلى قرية عمّاوس — ٣٠٥
الأخت كليمنص حلو — أورشليم السماويّة: «الروح والعروس يقولان: تعال!» (رؤ ٢٢: ١٧) — ٣١٧
الأب ميلاد جاويش — حركات «ليتورجيّة» ليسوع — ٣٣٧
الأرشمندريت جاك خليل — تفسير كتابيّ نقديّ للجواب الليتورجيّ «رحمة سلام، ذبيحة تسبيح» — ٣٨٥
الأخت روز أبي عاد — دور المرأة الليتورجيّ في الكتاب المقدّس — ٤٠٣
د. جورج صبرا — الأفخارستيّا وكلمة الله في الليتورجيّا الكلفينيّة — ٤٢١
الأب سهيل قاشا — الكتاب المقدّس في الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة — ٤٣١
الخوري بولس الفغالي — بشارة مار لوقا البشير بحسب المطران يوسف الدبس — ٤٥٩

محورية كلام الله في رسالة الكنيسة
من الكرازة إلى الشراكة

الأب أيوب شهوان

«روح الربّ عليَّ،

لأنَّه مسحني لأبشِّر المساكين،

وأرسلني لأنادي للأسرى بالحرّيَّة،

وللعميان بعودة البصر،

لأحرِّر المظلومين،

وأعلن الوقت الذي فيه يقبل الربُّ شعبه»

(رج لو ٤: ١٦–٢١).

مقدّمة

من أولى أَولويّات الكنيسة، والتي تواكب مسيرتها الرسوليّة، أن يتغذّى أبناؤها باستمرار من كلام الله لكي يكونوا "خدّام الكلمة"، وحامليّ بشرى الإنجيل، وناشطين في إعلان ملكوت الله، وبالتالي ناشرين للحقّ والعدالة، والمحبّة والسلام، في كلّ زمان ومكان.

١ – كرازة الكنيسة بالكلمة واجب الجميع

يُعتبَر كلام القدّيس بولس، «الويل لي إن لم أبشِّر» (١كو ٩: ١٦)، دعوة ملحّة إلى مسيحيّي أيّامنا من أجل إعلان الإنجيل المقدّس للعالم كلّه، لأنَ «الحصاد كثير والفعلة قليلون» (مت ٩: ٣٧). ولا بدّ للمبشّر كما للسامع أن تكون لهما الثقة بقدرة «كلمة الله الحيّة» (عب ٤: ١٢) على الخلق من جديد، من خلال عمليّة تحويل وتبدّل عميقَين، تمكّن من تأدية الشهادة على مثال الرسل القدّيسين.

هناك عدد كبير جدًّا من المسيحيّين لا يعرفون الكتب المقدّسة، فيعيشون في الإبهام من حيث الإيمان، وفي خلل من حيث السلوك، وبالتالي هم عاجزون عن القيام بدورهم كشهود للمسيح؛ من هنا واجب العمل على إيصال كلام الله إليهم، على يد الكهنة أوّلاً، ومن خلال لقاءات مكرّسة لهذه الغاية، كما أيضًا عبر وسائل الاتّصال المختلفة.

ويلعب المكرّسون دورًا أساسيًّا في الكرازة بكلام الله، لأنّ «الكتاب المقدَّس هو كلَّ يوم بين أيديهم ليستقوا من قراءته والتأمُّل فيه "معرفة سامية ليسوع المسيح" (فل ٣: ٨)[(١)]، وليمارسوا **القراءة الربّيّة** التي تجعلهم أهلاً لأن يتقدّسوا بكلام الله، فيتمكّنوا من حمْل البشرى إلى الآخرين.

٢ – كلام الله يلد روح الشراكة

عندما يشهد المسيحيّون معًا لكلام الله في حياتهم، يحقّقون بذات الفعل خطوات هامّة نحو الوحدة المرجوّة التي صلّى يسوع قبيل آلامه من أجل أن تكون (رج يو ١٧). فاللقاء مع المسيح يضمن اللقاء مع الإخوة، لأنّه لا لقاء بهذا المعنى من دون عيش كلام الله،

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، قرار مجمعي في تجديد الحياة الرهبانية وملائمتها، المحبة الكاملة ٦.

والإصغاء الدائم إليه. إنّ هذا الإصغاء، مرفقًا بممارسة **القراءة الربّيّة** للبيبليا، التي تتضمّن بحدّ ذاتها الصلاة، تجعلنا نخرج من صممنا، ونفتح آذاننا، ليس فقط لصوت الربّ ولهمسات روحه القدّوس، بل أيضًا لأصوات إخوتنا وأخواتنا، فتنمو الشراكة بين أعضاء الجسد الواحد، جسد الكلمة الإلهيّ، وتترسّخ الوحدة بينهم.

لكن لا يغيبنّ عن بالنا أنّ شراكتنا كمسيحيّين لا يمكن أن تكون محصورةً بإخوتنا وأخواتنا، لأنّ المسيح جاء إلى العالم لأجل الجميع، بل ينبغي أن تشمل غير المؤمنين بالمسيح أيضًا، الأمر الذي يؤدّي إلى اكتشاف أهمية الآخر واللقاء به، والتعامل معه بالمستوى الذي يليق به كإنسان؛ وهنا يظهر مفعول كلام الله الذي يخلق لدى المسيحيّ سلوكًا مميّزًا، وسيرة مستقيمة، فيضحي بذات الفعل شاهدًا للحقّ وللقيم المسيحيّة.

ولا بدّ من أن نتذكّر هنا أنّ الكنيسة مدعوّة أبدًا إلى أن تحمل الإنجيلَ إلى الخليقة كلّها (رج مر ١٦: ١٥)، لأنّها ملتزمة كيانيًّا بإعلان بشرى الخلاص إلى الجميع (رج رو ١: ١٤)، وبالشهادة لكلمة الله المتجسِّد.

ولا بدّ أيضًا من أن يتنبّه أبناء الكنيسة إلى خطر الانزلاق نحو السطحيَّة، والتنازل عن الحقيقة أو تشويهها بداعي المسايرة، على حساب الشهادة الواضحة والصريحة لكلام الله.

إنّ لمعرفة معمّقة لبشارة يسوع، هو «الطريق والحقّ والحياة» (يو ١٤: ٦)، أهمّيّة قصوى أيضًا بالنسبة إلى المسيحيّ من أجل تعاطٍ ناجح وخيِّر مع الثقافات المختلفة، وفي مجالاتها المتنوّعة، فيسمو بها، ويرفعها، جاعلاً منها أدوات ملكوت الله. من هنا ضرورة الاستعداد والجهوزيّة لإبراز الإيمان المسيحيّ وفاعليّته وعمله الخيِّر لصالح أيّ إنسان، ولمساعدة البشريَّة على اللقاء بالكلمة المتجسّد وبربِّ الحياة والتاريخ.

خاتمة

إنّ العنصر الأهمّ للقاء الإنسان بالله، هو الإصغاء إلى كلام الله؛ فالكلام الذي زرعه يسوع كبذار الملكوت، يفعل فعلَه في تاريخ البشريّة دون انقطاع (رج ٢ تس ٣: ١)، والكنيسة تواصل إعلان إيمانها في كلّ مكان وزمان، عالمةً أنّ كلمة المسيح هي حالّة بكلِّ غناها في قلوب أبنائها (رج كول ٣: ١٦-١٧)، الذين تتحوّل حياتهم بالذات نداءً موجَّهًا إلى جميع الناس للمشاركة في خيرات الملكوت السماويّ، ملكوت كلمة الذي صار بشرًا وحلّ بيننا، فأبصرنا مجده، مجد وحيد آت من الآب.

الجمعيّة العامّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة

كلام الله في حياة الكنيسة ورسالتها

الخطوط العريضة

ندوة في لبنان لمواكبة الإعداد للسينودس:

خلاصة، توصيات، وآليات عمل

١ – تأسيس لجنة الكلمة:

أسّسَت لجنة أولى مؤلّفة من المطران نجيم، والأبوين بولس روحانا عميد كلّيّة اللاهوت الحبريّة في جامعة الروح القدس – الكسليك، وأيوب شهوان، منسّق الرابطة الكتابيّة في الشرق الأوسط يمثّلها من قِبَل المطران نجيم الخوري جوزف طعمه يعاونه الشمّاس فادي سلامه والسيّدة فيوليت المسنّ، وقامت هذه اللجنة بالأعمال التالية:

١/١ – بعدما تُرجِمَ نَصّ **الخطوط العريضة** إلى اللغة العربيّة ووزّعت حوالى ٢٥٠٠ نسخة على كلّ أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة في لبنان وعلى الرؤساء العامين والرئيسات العامات واللجنة الأسقفيّة للعمل الرسوليّ العلمانيّ واللجنة الأسقفيّة للعائلة، وبعدما تُرجمت الأجوبة على أسئلة هذا النصّ، سلِّمت إلى غبطة البطريرك الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير، رئيس مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، وأُرسلت إلى روما، مرفقة بتقرير عام عن عمل اللجنة باللغة الفرنسيّة.

٢/١ – نظرًا لنجاح هذه الخطوة الأولى، على تأسيس لجنة موسّعة قوامها، سيادة المطران ميشال أبرص عن كنيسة الروم الكاثوليك؛ سيادة المطران جان تيروز عن كنيسة الأرمن الكاثوليك؛ سيادة المطران جي–بولس نجيم عن الكنيسة المارونيّة؛ الأب نجم شهوان عن كنيسة السريان الكاثوليك؛ الأب فاليري البيطار عن النيابة الرسوليّة للاتين، السيّد جورج سمعان حناوي عن كنيسة الكلدان؛ الأب بولس روحانا عن كلّيّة اللاهوت الحبريّة التابعة لجامعة الروح القدس، الكسليك؛ الأب أيوب شهوان عن الرابطة الكتابيّة؛ الخوري جوزف طعمه مندوب من قبل المطران نجيم؛ الشمّاس فادي سلامه أمين سرّ اللجنة، السيّدة فيوليت المسنّ عن أساتذة التعليم المسيحيّ في المدارس.

٢ – أوّل عمل قامت به هذه اللجنة الموسّعة كان الآتي:

١/٢– تنظيم لقاء لمندوبَين اثنَين عن كلّ أبرشية ورهبانيّة وكليّة لاهوت ومعهد تنشئة دينيّة واللجنة الأسقفيّة للعمل الرسوليّ العلمانيّ، واللجنة الأسقفيّة للعيلة، واللجنة الأسقفيّة للتعليم المسيحيّ، والحركات الرسوليّة، والمدارس الكاثوليكيّة. فأرسلت لهذه الغاية دعوة إلى جميع أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة، وجميع الرؤساء العامين والرئيسات العامات، رؤساء الإكليريكيّات، وعمداء كلّيّات اللاهوت، وإلى مسؤولّي معاهد التنشئة، ورئيس المجلس الرسوليّ العلمانيّ وأعضائه، والأمين العام للمدارس الكاثوليكيّة، ومنسّقيّ التعليم المسيحيّ في المدارس، والأمين العام لمجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان.

تضمّنت هذه الدعوة لمحة عن هدف اللقاء، وهو مواكبة عمل الأساقفة تحضيرًا لسينودس الأساقفة

حول كلام الله، من خلال تسليط الأضواء على **محوريّة الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة وفي رسالتها**، مع بعض الأسئلة، بغية تهيئة المشتركين لمساهمة فعّالة باللقاء.

٢/٢ – وتمّ اللقاء فعلاً بتاريخ ٢٩ آذار ٢٠٠٨ في جامعة الروح القدس، الكسليك، وضمّ حوالى مئتي شخص، وجرى بحسب البرنامج الآتي: بعد الاستقبال وصلاة الافتتاح، كانت كلمة لسيادة المطران نجيم، وحاضر، القسّ عيسى دياب ممثّلاً الكنيسة الانجيليّة، عن «كلمة الله عند شعب العهد القديم وفي العصر المسيحيّ الباكر»، والدكتور نقولا أبو مراد، ممثّلاً الكنيسة الارثوذكسيّة عن «الكتاب المقدّس والكنيسة»، والأب أيوب شهوان، ممثّلاً الكنيسة الكاثوليكيّة، عن «محوريّة كلام الله في رسالة الكنيسة».

وبعد الحديث، توزّع المشاركون على تسع حلقات حوار موضوعها كلمة الله وصداها. وانكبّت كلّ حلقة على التأمّل بوضع كلمة الله في قطاع معيّن من القطاعات الآتية في حياة الكنيسة: الحياة الرهبانيّة، العائلة، المدرسة، الجامعة، كلّيّات التنشئة، معاهد اللاهوت والرعايا. ثمّ اجتمع المشتركون في لقاء عام لعرض نتائج تفكيرهم لإقرار خطة عمل مستقبليّة ونيل البركة الختاميّة. وفي نهاية اللقاء، التقى الجميع بضيافة جامعة الروح القدس لتقاسم طعام الغداء.

٣/٢ – سُئل المشتركون في آخر اللقاء عن رأيهم به. وأبدوه خطّيًّا، وكان إيجابيًّا لأنّه سمح للمشتركين الذين كانوا بأغلبيّتهم الساحقة علمانيّين، أن يعطوا رأيهم وأن يساهموا، منذ اللحظة الأولى، في حمل مسؤوليّة نجاح السينودس بالصلاة والتفكير، على أمل ألاّ تبقى هذه المبادرة يتيمة من نوعها ودون تفعيل على الأرض.

٤/٢ – وتجاوبًا مع هذه النوايا، اجتمعت اللجنة المصغّرة وجمعت التوصيات التي صدرت. وفي ما يلي، حصيلة تلك **التوصيات**:

– تأمين تنشئة بيبليّة دائمة للكهنة والرهبان والراهبات ضمن نطاق الأبرشيّات والأديار.

– ضرورة تحضير العظة من قبل الكاهن ووجوب استنادها أساسًا إلى كلمة الله.

– المطالعة الروحيّة للكاهن، والتدرُّب على الوعظ في الأديرة وبيوت التنشئة على يد اختصاصيّين.

– إعادة النظر في إمكانيّة إدخال قراءات من العهد القديم في الليتورجيّا المارونيّة خصوصًا، ودرس هذا المشروع من قبل اللجنة الطقسيّة المعنيّة، وإمكانيّة وضع مقدّمة توضيحيّة موجزة للنصوص الكتابيّة.

– القيام برياضات روحيّة وندوات كتابيّة ودورات تنشئة مستمرّة، والتشجيع على ممارسة القراءة الربيّة (*Lectio Divina*) في الأديرة وبيوت التنشئة.

– إدخال مادّة "الكتاب المقدّس" في كلّ الكليّات والمعاهد الكاثوليكيّة.

– إقامة أيّام بيبليّة وحلقات حوار حول نصوص كتابيّة.

– توزيع الكتاب المقدّس، بعهديه، مجّانًا، وإحياء سهرات إنجيليّة في بيوت المؤمنين.

– إنشاء لجنة كتابيّة في كلّ أبرشيّة تهتمّ بنشر وبإيصال كلمة الله خالصة للمؤمنين.

– تشجيع العائلات المسيحيّة على قراءة الكتاب المقدّس والتأمّل فيه.

– تنشئة علميّة في الكتاب المقدّس تتوجّه إلى علمانيّين ملتزمين.

– تنشئة خاصّة لمعلّمي التعليم المسيحيّ في المدارس وتوفير الوسائل الحديثة لهم لإيصال كلمة الله إلى الطلاّب.

– إقامة مراكز خاصّة لمعلّمي التعليم المسيحيّ، وتدريبهم على التقنيات

والطرق التربويّة الحديثة.

– دعم الكنيسة لمعاهد التنشئة للعلمانيّين وتعميمها في مختلف المناطق، وفتح المجال للعلمانيّين لتحصيل العلم في كليّات اللاهوت بأسعار مناسبة.

– تشجيع الإعلام على نشر كلمة الله بين المؤمنين.

– توفير تقنيّات جديدة لنشر كلمة الله: أقراص مدمجة، الانترنيت، أفلام، إلخ.

– إقامة برامج تلفزيونيّة وإذاعيّة ومسابقات هدفها التعريف بالكتاب المقدّس.

– توزيع نشرات بيبليّة في الرعايا والمدارس، وتعميم المجلاّت المتخصِّصة في الكتاب المقدّس.

٥/٢ – وأمام هذا الفيض من الاقتراحات والتوصيات، وضعت اللجنة المصغّرة مخطّطًا يهدف إلى تحقيق هذه الرغائب، فاقترحت أن تؤسّس هيئة متابعة تحت إشراف اللجنة الموسّعة، تكون:

١/٥/٢ – مهامّها:

– تأمين ما يجب تأمينه من وسائل لأجل نقل توصيات المؤتمر إلى حيّز التنفيذ. على سبيل المثل: ما العمل لتأمين الكتاب المقدّس، بجزءيه مجانًا لجميع المؤمنين؟ ما العمل لتشجيع العلمانيّين على قراءة الكتاب المقدّس بما فيه تأسيس «لجنة الكلمة» في كلّ أبرشيّة؟

– الاطّلاع على كلّ المحاولات التي تتمّ على مستوى الكنائس، والأبرشيّات، والمدارس، والرهبنيّات...، في إطار نشر كلمة الله.

– تسهيل تبادل الأفكار والخبرات بين الناشطين في هذا المجال على المستوى الرعويّ.

– التعاون مع المؤسّسات والجمعيّات الكنسيّة العامّة، كالرابطة الكتابيّة، وجمعيّة الكتاب المقدّس، وكلّيّات اللاهوت...

– جمع كلّ ما يصدر في هذا الاطار من كتب وأفلام وغيره لوضعها في خدمة الكلمة.

٢/٥/٢ – وحاجاتها:

– تأليفها على أساس أنظمة أساسيّة وداخليّة تضعها اللجنة الموسّعة.

– تأمين مركز لها.

COMMISSION BIBLIQUE
PONTIFICALE

BIBLE
ET CHRISTOLOGIE

Préface d'Henri Cazelles

LES ÉDITIONS DU CERF
29, bd Latour-Maubourg, Paris
1984